فوائد الموائد

لأبي الحسين جمال الدين الجزار

بتحقيق

الدكتور ابراهيم السامرائي

المقدمة

تشتمل على :

(١) سيرة المؤلف .

(٢) كتاب « فوائد الموائد » .

(٣) تحقيق الكتاب .

ابو الحسين الجزار (١)

هو يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد، ابو الحسين المصري (٢) الجزار ، جمال الدين ، من شعراء مصر في القرن السابع الهجري ، كان ظريفاً ماجناً حلو المناظرة (٣) ، مدح الملوك والوزراء والأمراء ، واسترزق بالمدح (٤) وكانت بينه وبين السراج الورّاق مداعبة (٥) ، وكان جزاراً فلقب بذلك .

ولد في حدود سنة ستمائة للهجرة وتوفي سنة تسع وسبعين وستمائة . (٦)

---

(١) انظر ترجمته في : المغرب في حلي المعرب : القسم الخاص بمصر ١/٢٩٦–٣٤٨ فوات الوفيات ٢/٣١٩
شذرات الذهب ٥/٣٦٤ النجوم الزاهرة ٧/٣٤٥ البداية والنهاية ١٣/٢٩٣
خزانة ابن حجة الحموي نقلا عن « الغدير » ٥/٤٢٦–٤٣٣ الاعلام ٩/١٩٠
Brock. GAL. 1 - 409 (335), s.1-574

(٢) البداية والنهاية ١٣/٢٩٣

(٣) المصدر السابق

(٤) شذرات الذهب ٥/٣٦٤

(٥) النجوم الزاهرة ٧/٣٤٥

(٦) البداية والنهاية ١٣/٢٩٣

عده صاحب « الغدير »أحد شعراء الشيعة المنسيين (١) . وقال ابن حجة : تعاهد هو والسراج والحمامي وتطارحوا كثيراًوساعدتهم صنائعهم وألقابهم في نظم التورية»(٢)

وكان من اصدقاء ابن سعيد صاحب كتاب « المغرب في حلي المغرب » الذي اختار له جملة وافية من شعره في « كتابه » (٣) .

وكان لابن الجزار جملة آثار هي :

(١) العقود الدرية في الأمراء المصرية (مخطوط) .

(٢) ديوان شعر صغير (مخطوط في المكتبة الصادقية بتونس) (٤) . وقد علق الاستاذ خير الدين الزركلي في « الاعلام » على هذا الديوان الذي اطلع عليه في المكتبة المذكورة بقوله : لعله مختارات من شعره ، فان ديوانه كبير كما ورد في « النجوم الزاهرة » وقد جمع له الشيخ محمد السماوي النجفي ديواناً أربى على ١٢٥٠ بيتاً كما ورد في « الغدير » (٥) .

(٣) الوسيلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب ، ذكره بروكلمان .

(٤) تقاطيف الجزائر ، وهو شعر .

(٥) فوائد الموائد ، وهو الكتاب الذي نحققه وننشره .

---

(١) الغدير ٤٢٦/٥ (٢) خزانة ابن حجة الحموي نقلا عن «الغدير »

(٣) المغرب (القسم الخاص بمصر ٢٩٦/١-٣٤٨

(٤) الاعلام ١٩٠/٩ (٥) الغدير ٤٢٦/٥

فوائـــد الموائـــد

وهو كتاب صغير قال عنه الجزار في فاتحته :

« أردت ان اتفرد الى خاطرك الكريم بتصنيف مختصر في المآكل والكلام عليها وأودعته نوادر من أخبار البخلاء . . .

فألفت هذا المختصر وسميته بـ « فوائد الموائد » وبوبته عشرة أبواب :

الباب الاول : في مدح الطعام والكلام عليه .

الباب الثاني : في آداب المضّيف مع ضيفه .

الباب الثالث : في تسهيل الحجاب وقت الطعام .

الباب الرابع : في الذي شغله نهمه عن حقوق ضيفه .

الباب الخامس : في ذم البخيل بالطعام .

الباب السادس : في آداب الضيف مع مضيفه .

الباب السابع : في ذم نهم الضيف .

الباب الثامن : في ذكر ما يستقبح من افعال الضيف .

الباب التاسع : في أوصاف الطفيلية ونوادرها .

الباب العاشر : في ذكر فضول الضيف .

أقول : قد يكون شيء من هذه « الفوائد » موجوداً في مصادر عدة ، غير ان هذا الكتاب حوى ما كان متفرقاً هنا وهناك . وقد يكون من عظم الفائدة ان المصنف مارس هذه الحياة التي تتصل بالمجالس ونوادرها وما يتقدم فيها من موائد الطعام .

ان المصنف من العامة فقد كان جزاراً ثم اتيح له ان يتصل بالرؤساء والوزراء

والامراء والملوك فتهيأ له ان يكون على جانب من الظروف وحسن التصرف .

وان اهتمامه بهذا اللون من التأليف الذي يعد من المواد الحضارية ذو قيمة تاريخية تتصل بالوان من الحضارة مما لاتعرض له الدراسات المنهجية .

ثم ان في الكتاب مادة لغوية تتصل بالمولد الذي صنعه المتأخرون فتوسعوا في الاشتقاق من مواد الطعام وما يتصل به كما ذكر ذلك في الباب الاول . ومن ذلك على سبيل المثال ماجاء في خطبة ذكرها المصنف للقاضي أبي بكر بن فريعة في دار أبي اسحاق الصابي الكاتب ، وقد عمل له ولجماعة من أصحاب الوزير المهلبي طعاماً ولم أسمع أغرب منها اسلوباً ولا أحلى ألفاظاً وهي :

الحمد لله الذي تيّنَ فوزرَ ، وعنّبَ فرزّقَ ، وخوّخ فشطّبَ ، ومشْمشَ فصفّر وسكْرجَ فلوّنَ ، وبوْرنَ فنعّمَ ، وجبّنَ فصعْترَ ، وجوْذبَ فدهّنَ . . . الخ

وتستمر الخطبة على هذا النحو فيأتي بما يقرب من أربعين لفظاً من هذا المولد الغريب الذي يفصح عن ظرف ، ويكشف عن خفة ومرح .

ومثل ذلك ما جاء في الباب الثامن وهو قوله :

قال بعض الظرفاء : أعرف في المؤاكلة خمسة وعشرين ، فقيل له : وما هي ؟ فقال : المتشاوف ، والعدّاد ، والزحّاف ، والجرّاف ، والرشّاف ، والنفاض ، والقرّاض ، واللتات ، والعوّام ، والقشّام ، والمخلّل ، والمزلّل ، والموسّخ ، والمرشّش ، والمفتّش ، والمنشّف ، والملبّب ، والصبّاغ ، والنفّاخ ، والحامي ، والمجنّح ، والمغنّي ، والشطرنجيّ . .

ثم صار يشرح معنى كل من هذه الالفاظ ودلالتها عند أهل الظرف في ذلك الزمان .

أقول : لعل شيئاً من هذا أشار إليه الجاحظ في « البخلاء » ، كما وجد شيء منه في كتب اللطائف والسمر ، غير ان وصف الذي جاء به الجزار لكل من هذه الالفاظ هو شيء جديد ابتدعه أهل هذا الفن في مجتمع القرن السابع .

ثم ان الكتاب لايخلو من ألفاظ ذات مدلول اصطلاحي ، ومن ذلك استعماله « المؤامرة » للدلالة على مايسمى في عصرنا الورقة المالية أو السند او الكمبيالة .

ولهذا كله وجدت أن نشر الكتاب شيء يبرز فوائد جمة .

تحقيق الكتاب :

تهيأ لي من الكتاب ثلاثة أصول مخطوطة هي كل مااستطعت ان أهتدي اليه في خزائن المخطوطات المعروفة المشهورة .

(١) نسخة المتحف البريطاني .

وقد حصلت على « الميكروفلم » لهذه النسخة وأحلته الى مصورة اشتملت على مقروء . ومعدل الكلمات في كل سطر هو ثماني كلمات .

وهذه النسخة تشتمل على زيادات لاتوجد في النسختين الاخريين ، ومما اختلفت به عنهما ان المؤلف فيها يشير الى انه صنع كتابه في هذا الموضوع ليهديه الى أحد الرؤساء الذي لم يسمّه .

من أجل ذلك اعتمدت هذه النسخة كثيراً إلا في أحوال خاصة أجد فيها أن النصّ معوز وأنه غير سديد فآخذ عندئذٍ من النسختين الاخريين .

وقد رمزت الى هذه النسخة بالحرف « م » . ومن المفيد ان أشير الى ان صفحة الخاتمة قد سقطت وهي تلك التي تحوي تاريخ النسخ وشيئاً من دعاء يشير الى انجاز النسخ .

(٢) نسخة خزانة الفاتيكان .

وقد حصلت على « الميكروفلم » لهذه النسخة ثم صنعت منه مصورة اشتملت على ١٧ ورقة وقد سقطت منه الورقة الخامسة عشرة :

ولم يكن خط هذه النسخة جيداً فهو رديء ولكنه مقروء .

وقد اشتمل كل وجه من وجهي الورقة على ١٩ سطراً احتوى كل سطر على ثماني كلمات .

وكان الفراغ من نسخها في اليوم الرابع من شهر شوال سنة اربع وثلاثين وسبعمائة هجرية وقد رمزت اليها بالحرف « ن » .

(٣) نسخة المكتبة الوطنية بباريس .

وقد اشتملت مصورتها على٣٧ ورقة ، اشتمل كل وجه من وجهي الورقة على ١١ سطراً في كل سطر ثماني كلمات .

خطها رديء وهي كثيرة الخطأ .

ولم تشتمل على تاريخ للنسخ . رمزت اليها بالحرف « س » .

والذي لاحظته ان بين نسخة الفاتيكان ونسخة باريس تشابها كبيراً ، فاذا سقط من الأصل شيْ في احداهما كان ساقطاً في النسخة الأخرى . وفي هذه الحالة كان معولي على نسخة المتحف البريطاني التي اشرت الى تمامها وكمال نصها وما اشتملت عليه من زيادات أشرت اليها في الحواشي .

الدكتور ابراهيم السامرائي

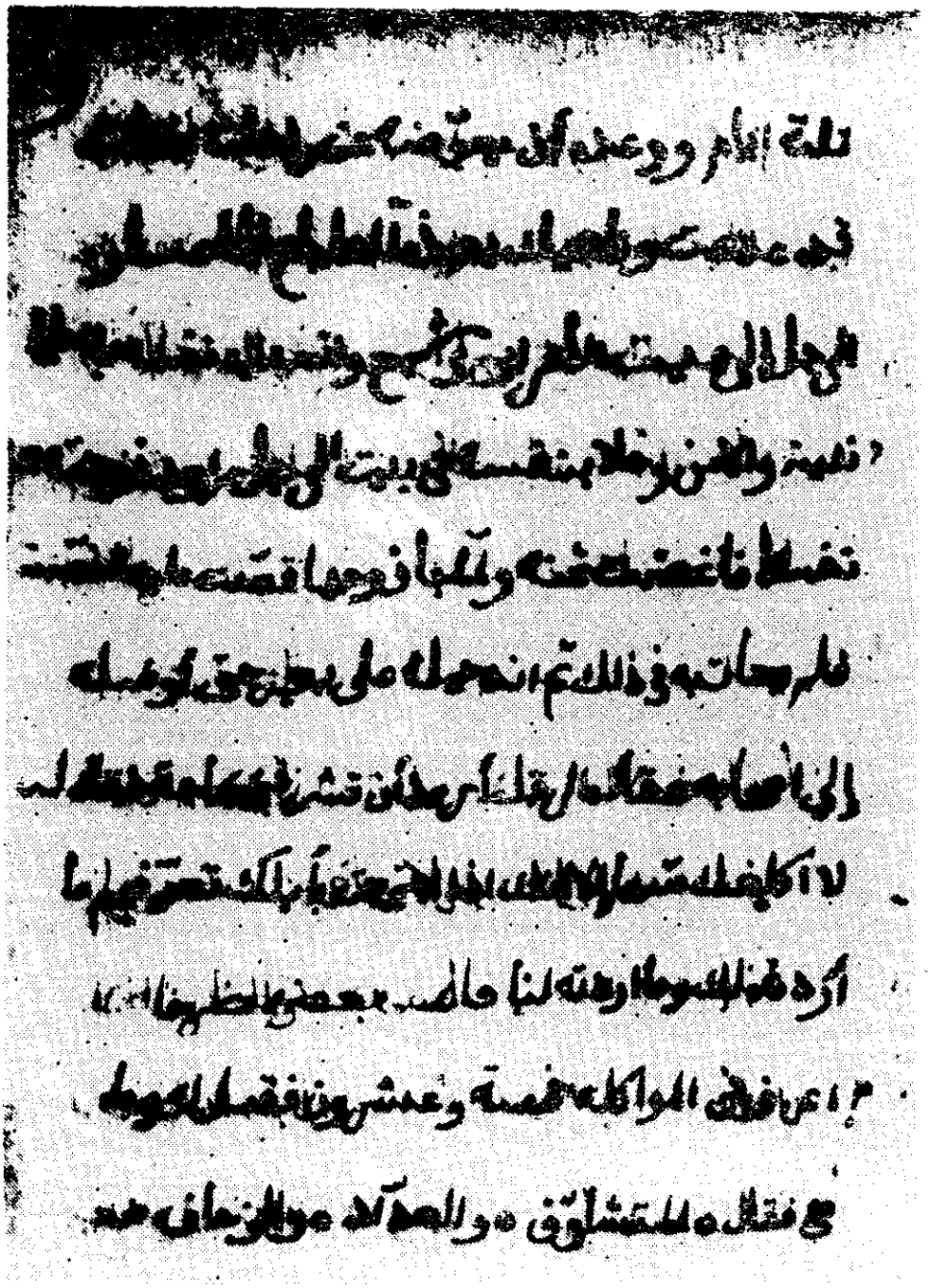

الصفحة ٢٩ من نسخة « س » باريس

صفحة الغلاف من نسخة « م » المتحف البريطاني

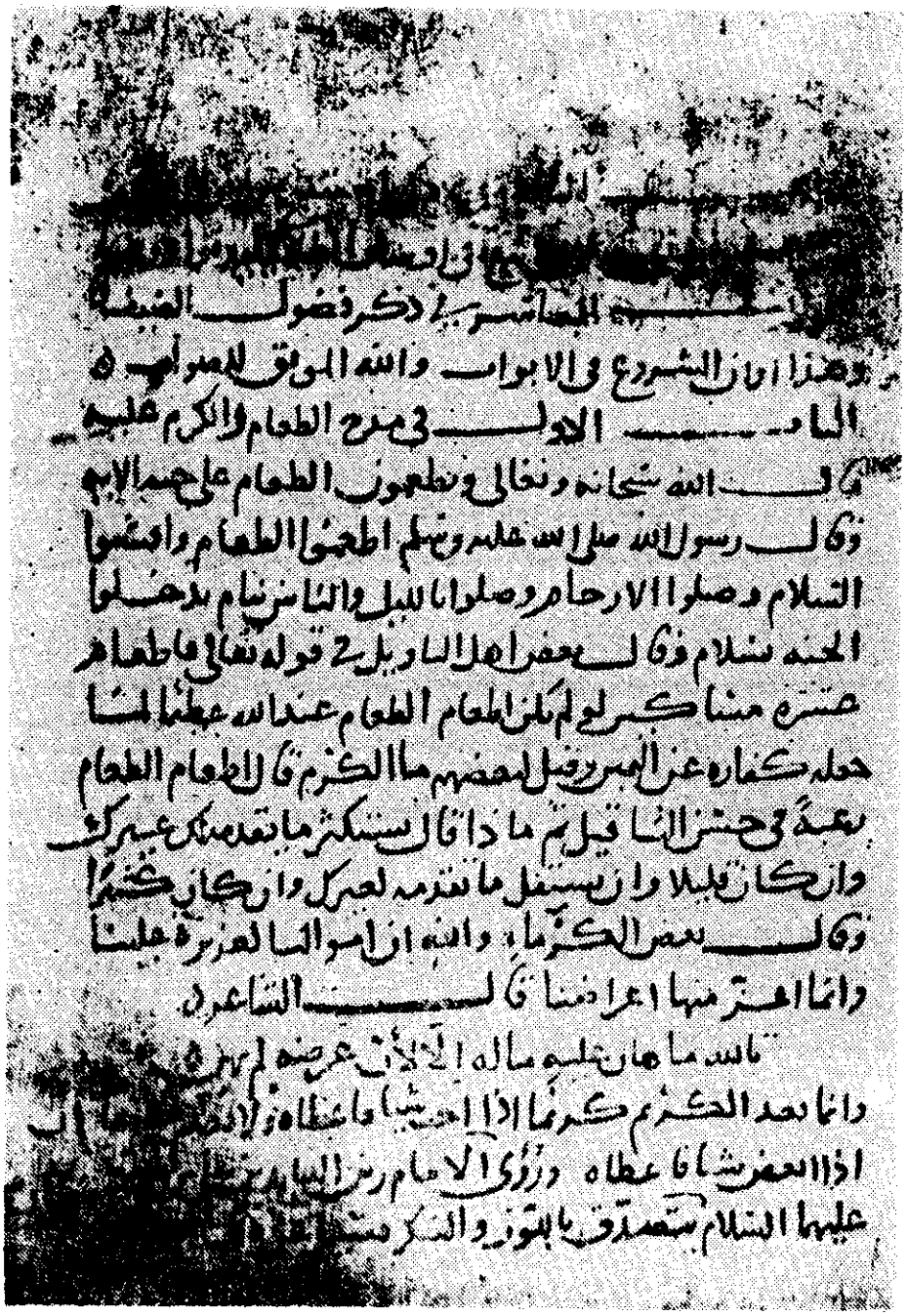

الصفحة الثانية من نسخة « ن » الفاتيكان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الرئيس (١) الأديب الفاضل البارع جمال الدين يحيى بنُ عبد العظيم المعروف بأبي الحسين الجزّار ــ رحمه الله ــ (٢) :

الحمد لله الذي جعل الطعام رزقاً للعباد ، وقِواماً للأجساد ، وسبباً لذمِّ البخلاء ، ومَدح الأجواد أحمده على مامنَّ (٣) به من طيبات رزقه ، ومعرفة (٤) الكرام من خلقه ، (وأشهد أنْ لا إلهَ الا الله وحده لاشريك له) (٥) ، رازق الأطعمة الشهية (٦) ، ومسخِّر النفوس السخيّة (وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ، صاحب الأخلاق الرضّية ، والهمم العليّة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم خير البرية ، صلاة دائمةً في الغداة والعشيّة) (٧) والحمد لله (٨) حمداً يستحقّه بعلوِّ

---

(١) كذا في (ن) أما في «س» : قال العلامة الاديب ، وفي «م» قال الشيخ الأديب .

(٢) كذا في «س» أما في «ن» : جمال الدين يحيى بن عبد العظيم المعروف بالجزار ، وفي «م» : جمال الدين ابو الحسين المعروف بالجزار تغمده الله برحمته .

(٣) كذا في «ن» و «س» أما في «م» : منح . (٤) كذا في «م» أما في «ن» و «س» :

(٥) كذا في «ن» و «س» وهي لا توجد في «م» .

(٦) كذا في «م» و «ن» أما في «س» : ميسر الاطعمة صحة الشهية .

(٧) النص مابين القوسين من «ن» و «س» ولا وجود له في «م» .

(٨) النص من قوله : « والحمد لله » الى قوله : « وأودعه نوادر من أخبار البخلاء » من «م» وقد ورد موجزاً في «س» و «ن» على النحو الآتي : « وبعد فاني الفت هذا المختصر في المآكل والكرم عليها ، وجعلته تأديباً للمضيف واودعته نوادر من مدح وذم تأتي في مكانها وسميته . « فوائد الموائد وبوبته عشرة أبواب » .وهذا يعني ان النص في «م» انفرد بذكر المصنف قد أهدى مصنفه الى احد الرؤساء .

شانه ، وسبُوغ إحسانه ، وصَلَواته على أنبيائه أجمعين وبعد ، فانني ، أيها المولى الصاحب الأجلُّ ، العالمُ الفاضل ، المجتَبَى الأغرّ المختار ، مُحيي الدين ، مُجتَبَى السلاطين ، عُمدة أمير المؤمنين ، أدام بك حراسة السعادة واجراك من الطاعة على أجمل عادة ، أردت أن اتقرب الى خاطرك الكريم بتصنيف مختصر في المآكل والكلام عليها ، واودعه نوادر من أخبار البخلاء ، . . .(١)

فألّفت هذا المختصر وسمّيته بـ « فوائد الموائد » وبوّبته عشرة أبواب :

الباب الأول : في مدح الطعام والكلام (٢) عليه .

الباب الثاني : في آداب المضيف مع ضيفه .

الباب الثالث : في تسهيل الحجاب وقت الطعام .

الباب الرابع : في الذي يشْغَله نهمَه عن حقوق ضيفه .

الباب الخامس : في ذمّ البخل على الطعام .

الباب السادس : في آداب الضيف مع مضيفه .

الباب السابع : في ذمّ نهمَ الضيف .

الباب الثامن : في ذكر ما يستقبح من (٣) افعال (٤) الضيف .

الباب التاسع : في أوصاف الطفيلية ونوادرها .

الباب العاشر : في ذكر فضول الضيف .

(وهذا أوان الشروع في الأبواب والله الموفق للصواب) . (٥)

---

(١) النقاط تشير الى ان النص في «م» قد استغلق وانبهم فلم اهتد اليه وهأنا اذكره : « ولم ازل استقل نفسي عن ظلك الى بسط أماني بشرفك وأنس اقبالك وقوى عزمك وبرك » . كذا .

(٢) كذا في «ن» أما في «س» و «م» : والكرم .

(٣) سقطت «من» من «م» (٤) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : أحوال .

(٥) سقطت العبارة ما بين القوسين من «م» .

الباب الاول

في مدح الطعام والكلام (١) عليه

قال الله سبحانه وتعالى « ويطعمون الطعام على حبه . . . الآية » (٢) . قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « أطعموا الطعام ، وأفشُوا السلام ، وصِلوا الأرحام ، وصَلُّوا بالليل والناس نيام ، تدخُلوا الجنّةَ بسلام » (٣) .وقال بعض أهل التأويل في قوله سبحانه : « فاطعامُ عشرة مساكين » (٤) : لو لم يكن إطعام الطعام عند الله عظيماً لما جعله كفارة عن اليمين .

وقيل لبعضهم (٥) : ما الكرم ؟ قال : إطعام الطعام رغبة في حسن الثناء . قيل : ثم ماذا ؟ قال : تستكثر ما يقدمّه لك غيرك وان كان قليلاً ، وان تستقّل ماتقدمه لغيرك وإن كان كثيراً .

وقال بعض الكرماء : والله ان أموالنا لعزيزة علينا ، وانما أعزّ منها اعراضنا . وقال الشاعر : (من الرجز)

تالله ما هان عليه ماله إلا لأن عرضـــه لم يهـُنِ

وانما يعدّ الكَريم كريماً اذا أحبّ شيئاً فأعطاه . ورُوي ان الامام زين العابدين عليّ (٦) بن الحسين — عليهما السلام كان يتصدق باللوز والسكر ، فسئل عن ذلك فقال : هو أحبُّ الأطعمة إليّ . وقد قال الله سبحانه وتعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » (٧) .

ووقفت لبعض المحدثين (٨) في قصيدة على بيت يمدحُ به ، وهو : (من الطويل)

---

(١) كذا في «ن» أما في «س» و «م» : والكرم . (٢) سورة الانسان ٨ (٣) لم اهتد الى تخريجه .
(٤) سورة المجادلة ٤ (٥) كذا في «ن» و «م» أمافي «س» : المعتصم .
(٦) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : علي زين العابدين — رضى الله عنه — .
(٧) سورة آل عمران ٩٢ (٨) كذا في (س) و «ن» أما في «م» : لبعض الشعراء .

بغيض إليه كلّ ما ابيضّ لونه أو اصفرّ ، مقتاً للجبَن أو التبر

وهذا البيت اذا حوقق(١)قائله كان هجواً بحتاً لانه اذابغض شيئاًفأعطاه لايعدُّ كريماً ، وقد أخرجته المبالغة عن غرضه من المدح.وأنشد لي الضياء موسى الكاتب(٢) لنفسه في الأمير مجد الدين بن اللمطي : (٣) (من الطويل)

اذا شئت ان تلقى المكرَّم بالغا من الودِّ منه غايةً ليس تنتهي(٤)
فكن ضيفه أو قل له لي حاجة اليك أو استقصى عليه أو اشتهي

حُكي أنّ الوزير ابن شيرزاد (٥) كان قد عمل مؤامرة على بعض العلويين بمائتي ألف درهم ورسّم عليه في دهليزه (٦) ، فحضر الى الشريف بعض أصحابه ، فقال : هل لك في نصيحة تنتفع بها . فقال له الشريف : وماهي ؟ فقال : تترك عنك هذه النفس الشريفة (٧) ، واذا قُدِّم طعام الوزير له تدخل ، فان الموَّكل بك لايجسر (٨) يمنعك واحرص أن تكون جائعاً ، فانه متى رآك قد أمعنت من طعامك بلغك سؤلك من رضاه؛قال الشريف فتجوَّعت وانتظرت طعام الوزير فلما قُدِّم له قمتُ ، فقال الموَّكل بي : الى اين ؟ قلتُ : الى مائدة سيدنا (٩) ، فلم يجسر يمنعني فدخلت فلما رآني الوزير قام على قدميه (وأخذ بيدي) (١٠) وأجلسني الى جانبه ، فأكلتُ أكلاً جيداً ، فلما رُفعت المائدة وهَمَمتُ بالانصراف (١١) قال : شكر الله إحسان الشريف (١٢) ، وأخرجَ المؤامرة (١٣) فقطّعها (ودفع عني التَرسيم وأصرفني (كذا) مُكرَّ ما مُبَجّلا ، قال

(١) كذا في الأصل والصحيح وجوب الادغام : حوقّ . (٢) لم اهتد إلى معرفته . (٣)لم اهتدالى معرفته .
(٤) فيالبيت مجانبة للقاعدة النحوية في بناء فعل الأمر المعتل الآخر على حذف حرف العلة ان كان للمخاطب الواحد ، وقد اثبت الشاعر الحرف للضرورة « اشباعاً » ، على نحو : « الم يأتيك والانباء تنمي » . (٥) كذا في «س» أما في «م» و «ن» : شيراز .
(٦) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : ورسم عليه وحطه في دهليزه .
(٧) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : تترك هذه النفس العلوية عنك في هذا الوقت .
(٨) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : لا يقدر أن . . .
(٩) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : سيدنا الوزير .
(١٠) العبارة بين القوسين زيادة من «م» .
(١١) كذا في «م» أما في «س» و « ن» : فلما أردت الانصراف .
(١٢) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : إحسانك ايها الشريف .
(١٣) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : المحاسبة . والمؤامرة تعني الورقة المالية أو مايسمى «السند» في عصرنا الحاضر .

الشيخ ولم يسمع السامعون بكرم أبلغ من هذا(١).وقد أحسن من قال في ذلك شعراً : (٢) .

فتى كلّما جربته . . . (٣) جوُده وإنْ رُمتَ منه نائلاً فهو باذلُهْ
تعوّدَ بذل (٤) الكفِّ حتى لو انه ثناها لمنع لم تُطعه أناملُه
تراه اذا ماجئتَه مُتَهلِّلاً كأنّك تعطيه الذي أنت سائله
هو البحر من أيّ النواحي أتيته فلُجّتُه المعروف والجود ساحله
ولو لم يكن في كفّه غير نفسه (٥) لجاد بها فليتق الله سائلُه)

(وحُكيَ عن معن بن زائدة : أنّ أحداً من غلمانه اذا رأى من معن غضباً عليه ان يرضى عليه) (٦) بادر الى شيءٍ من طعامه فجعله في (فمه بحضرته فيُسرُّ معن بذلك ويعفو عنه ويقبل عليه ضاحكاً مستبشراً وقال بعض الشعراء في ذلك شعراً) (٧)

(من المجتث)

لا يَعْدَمُ الضيف منه اذا أتى إكرامَهْ
ولا يَرى لك ذنباً اذا أكلت طعامَه

وقيل لبعض الكرماء أي الأوقات أسعد عندك ؟ قال : الوقت الذي يحضر فيه الضيف وقد تهيأ الطعام قال المدائني : أول من سنّ القرى ابراهيم الخليل – صلوات الله عليه – وأول من هَشَمَ الثريد هاشم ، وأول من فطر جيرانه على طعامه في الاسلام عبيد الله بن العباس ، وهو أول من وضع موائده على الطريق ، وأول من حيّا (٨) الأضياف على طعامه ، وكان اذا أخرج من داره طعاماً (٩) لايعيد منه شيئاً ، فان لم يجد من يأكله تركه على الطريق .

(١) النص المحصور بين القوسين زيادة من «م» .
(٢) في الأبيات الآتية شيء من قصيدة ابي تمام في مدح المعتصم (الديوان بطبعتيه ، بيروت والمعارف) التي مطلعها : أجل أيها الربع الذي خف آهله لقد أركت فيك النوى ما تحاوله
الا ان البيت الاول غير موجود في الديوان .
(٣) مكان النقاط كلمة مطموسة في «م» . (٤) كذا في «م» أما في الديوان : بسط .
(٥) كذا في «م» أما في الديوان : روحه .
(٦) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : كان معن بن زائدة اذا أراد أحد من غلمانه ان يرضى عليه بعد العقاب الشديد بادر الى شيء من طعامه . . .
(٧) كذا في «م» أما في «س» : فجعله في فيه بحضوره ، قال الشاعر ، وأما في «ن» : فوضعه في فيه بحضوره ، قال الشاعر .
(٨) كذا في «س» أما في «س» و «م» : حثا .
(٩) كذا في «س» و «ن» أما في «م» فهناك عبارة : ولم يجد من يأكله .

(ومن (١) أحسن الأخبار ماروُي ان الله – تعالى – قال لنبيّه ابراهيم الخليل – عليه السلام – :

يا ابراهيم أخرجتك من ظهر كافر ، وهَدَيتك وما مننت عليك ، ودعوتك خليلي ومامَنَنْتُ ، وفَدَيت ولدك من الذبح ومامنَنْتُ ، وأنقذتك من نار النمرود وما منَنْتُ عليك ، ولكنّي أمُنّ عليك اذا أتاك ضيف فتكرمه وتطعمه وتنال مني بذلك ثواباً لواجتمع أهل السموات والأرض على أنْ يحصوه لم يقدروا على ذلك ومن أجل ذلك دعوتك خليلي فكأنه كما قيل : (من الطويل)

تعوَّدَ فعلَ الخير والخيرُ عادة ولم يذكر الخير الذي هو فاعلُهْ (٢)
ولو لم يكن في بيته غير قُوتِه لجادَ على العافي بما هو آكلُـــه
سَمَتْ نفسه عن كل عيب يشينه فقد حسنت أخلاقه وشمائلـــه)

(وحُكيَ عن بعض الأعراب الكرماء انه ورد عليه ضيف) (٣) فأدخله بيته وأحضرَ له طعاماً فقال الضيف :

لست بجائع وانما احتاج الى مكان أبيت فيه ، فقال له الأعرابي : اذا عزمت على هذا فكن ضيف غيري ، فانني لاارى أن تمدحني في الملا ، وتهجوني (في الخلا بيني وبينك فاحتشم من قوله وأَكلَ واعتذر من منعه عن ذلك) (٤) .

وحُكي أنّ حاتماً الطائي قال يرتجز لغلامه وينشده (٥) ويقول :

أوقِدْ فانَّ الليلَ ليلٌ قُرُّ عَلَّ يَرَى نارك من يَمُرُّ
إنْ جَلَبَتْ ضيفاً فأنت حُرُّ (٦)

---

(١) النص المحصور بين القوسين زيادة من «م» .

(٢) من هذه المقطوعة البيتان الاول والثاني يشبهان قليلا بيتين لأبي تمام من القصيدة التي اشرنا اليها والتي مدح بها المعتصم .والبيتان في طبعتي الديوان (بيروت ١٨٨٧ م ودار المعارف) هما

تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائلـــه

(٣) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : وورد على بعض الاعراب ضيف .

(٤) ما بين القوسين من «م» وسقط في «س» و «ن» .

(٥) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : ومن رجز حاتم الطائي يخاطب عبداً له .

(٦) انظر ديوان حاتم الطائي ص ٨٦ ورواية الديوان :

أوقد فان الليـــل ليل قر والريح ياموقد ريح صر
عسى يرى نارك من يمر إن جلبت ضيفاً فأنت حر

(وحُكيَ عن أحمد بن أبي خالد (١) أنه بكّر ذات يوم في الرواح الى المأمون لعرض القصص (٢) على المأمون فمرت به قصة فيها مكتوب :

« المملوك فلانَ البريديّ (٢) ، فقال : فلان الثريديّ ، فضحك المأمون وقال : ياغلام ايت بثريدة صمحة (٣) فان أبا العباس أصبح جائعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين لست بجائع ، وانما كاتب القصة وضع على نسبته ثلاث نقاط ،فقال : دع عنك هذا فإن الجوع قد أضرّ بك ، فأتى الغلام بقصعة من الثريد وقد أكثر عليها اللحم والدهن ،فاحتشم أحمد فقال المأمون : بحياتي إلاّ عَدَلتَ اليها فأكل حتى شبع فلما فَرَغَ وغَسَلَ يديه عاد الى قراءة القصص فوقعت في يده قصة فيها فلان الحِمْصّي ، فقال : فلان الحبيصّي ، فضحك المأمون وقال ياغلام ايت لأبي العباس بجام خبيص فان غَداءه (٤) كان مبتوراً فقال : ياامير المؤمنين كاتب القصة كان احمق فانه فتح الميم (٥) فظنها المملوك حرفين (٦)،فقال المملوك لولا حمقه وحمق صاحبه الأول لمت جوعاً » .

(وقال بعض الظرفاء : الطعام بلا حَلَوى مثل العمل بلا خاتمة) .

(قال بعض الكرماء : من الطا ف الله — سبحانه — بالكريم انه سامح المسافر بالفطر في رمضان . فلولا ذلك يخجل الكريم اذ يمرُّ عليه ضيف فيعتذر عن أكل طعامه بالصوم) .

ومن نوادر الصوفية أنهم اذا أكلوا طعاماً عند أحد قالوا أكل طعامك الأبرار ، وأفطر عندك الصائمون . ويقولون : ولا صلت عليك الملائكة الا بعد أكل الحلوى .

وقال بعضهم : ذكر عند بعض الكرماء الطفيلية فقال : اولئك قوم يسوقون (٧) الينا الثناء الطيّب في الدنيا والأجر في الآخرة ، جزاهم الله عنا خير الجزاء) (٨) .

---

(١) زاد العسكري في « التصحيف والتحريف » ص٤٩ والراغب الاصفهاني في المحاضرات ١/١١٠ وزير المأمون .(٢) القصص جمع قصة (بكسر القاف) وتعني ما ندعوه في أيامنا بـ « العريضة » او « الطلب » الذي يتقدم به صاحبه الى أولى الأمر (المسؤولين) لتحقيق غرض من الاغراض . والمصطلح من الكلمات العباسية . (٣)هذا هو الوجه كما في كتب « التصحيف » وفي«م» : اليزيدي.

(٤) كذا في «م» ولعلها « ضبحة »من ضبح العود بالنار ضبحاً : أحرق شيئاً من أعاليه ، وكذلك اللحم وغيره . اما « صمحة » فهي من صمحته الشمس اذا اشتد عليه حرها حتى كادت تذيب دماغه . انظر « اللسان » . والكلمة الأولى أرجح وأحسن .(٥)فتح الميم : أي عدم اتصالها في الخط من أعلى الدائرة .

(٦) هذا هو الوجه كما في « التصحيف والتحريف » اما في الأصل «م» : سينين . ولا معنى له .

(٧) هذا هو الصحيح الذي يقتضيه السياق أما في الأصل «م» : يسقون (٨) النص كله من قوله : وحكى عن احمد بن ابي خالد ، الى قوله : خير الجزاء ، زيادة من «م» ولم يردفي «س»و «ن» .

قال ومرّ بعض الحكماء الأول على قوم ينظفون حشاً لهم فقال : ياأهل الدنيا هذا الذي أغلقتم دونه الأبواب ، وأغضبتم عليه الأصحاب والأحباب .

وحضَر بعض الضيوف عند كريم ، وكان الضيف ناقهاً من مَرَض فقال لصاحب الدار : ماالذي يوافق من طعامك ؟ فقال : الذي يوافقني أن تأكل كلّ ماعندي (١) ، وأما الذي يوافقك فأنت أخبر به مني .قال بعضهم : لذة الكريم ان يؤكل من طعامه (٢) بحضرته .

و حكى بعض التجار قال استدعاني الوزير ابو جعفر محمد بن القاسم الكرجيّ لاعرض عليه متاعاً ، فبينما أنا بين يديه واذا بأطباق الفاكهة ، فقمت ، فقال : ياأبا فلان ، ماهذا الخُلُق العامي (٣) ، اجلسْ فجلَسْتُ وتحقّقتُ كرمه ، فجعلت آكل التفاحة في لقمة واحدة والكمثراة في لقمة واحدة ، ثم قُدِّم الطعام وكنت جائعاً ، فأكلت أكلاً جيداً ثم انصرفت . فلم أشعر في اليوم الثاني الا وقد جاءني غلامه (٤) وبغلته فاستدعاني اليه ، فدخلت عليه فقال : ياأبا فلان : اني قليل الأكل سيّء الهضم ، ولقد طابت لي أكلتك بالأمس فأريد أن لا تنقطع (٥) بعدها . قال : فكنت (٦) متى انقطعت حضر غلامه في طلبي ، فحصل لي بقربي منه مال عظيم ، وجاهٌ عريض ، ولم يكن له سبب الا نهمي على طعامه .

وقيل لبعض الكرماء : كيف اكتسبت مكارم الأخلاق ؟ فقال : كانت الاسفار تحوجني الى أن أفد على الناس ، فما استحسنتُ من أخلاقهم اتبعتهُ وما استقبحته تجنبته (٧) .

---

(١) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : من كل ما على المائدة .

(٢) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : طعامه .

(٣) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : الجافي .

(٤) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : الغلام .

(٥) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : لا تنقطع عني بعد ذلك .

(٦) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : فكنت متى تأخرت سير في طلبي فحصل لي بقربه . . .

(٧) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : اجتنبته .

وقال بعض الكرماء لولده : يابني يخرج الكريم من بلده كريماً ويعود كريماً ، ويسافر البخيل من بلده بخيلاً ويعود بخيلاً . فقال له ولده : وكيف ذلك ؟ فقال : لأنَّ الكريم يسافر فيلقى من يكرمه فيُسَرُّ به ويضاعف إكرامه فيقول في نفسه : والله لا ادخرتُ عن هذا ولا عن امثاله ابداً شيئاً . ويسافر البخيل فلا يجد الا من من يتغافل عنه ولا يلقى الامن يهينه ، فيقول في نفسه : والله لاسلمتُ على أحد أبداً فيجتمع عليه المعصية والاصرار .

وقال آخر لابنه : يابنيَّ تقدر ان تجعل لك في كل بلد داراً وغلاماً وجارية . فقال له ولده : وكيف ذلك ؟ قال تصادق صديقاً من كل بلد ، فمتى ورد عليك تكرمه فينصرف الى أهله فيذكر لهم إحسانك إليه فلا يبقى من أهله واصحابه إلاّ من ينتظر قدومك عليه ، وقد قال عنترة : (من الكامل)

واعلمْ بان الضيف يخبر أهله بمبيت ليلته وإنْ لم يُسأَلِ (١)

وقال بعض الزهاد : والله لولم يكن في الكرم تعويض في الآخرة لكان بجماله في الدنيا كفاية . (٢)

حُكِيَ ان بعض قوّاد احمد (٣) بن طولون حضر سماطه (يوم عيد وعلى أحمد(٤) قباء خفتان مُنزَّل بفضة (وذهب) (٥) ، فجاء بعض غلمانه بالطعام عجلاً ، فانكب على القباء (٦) فماظن أحد منا أنه يجيبه (٧) ، ففهم (وتخوَّفَ الغلام وأُرعِد وانقبضت الجماعة الحضور مما نزَل بهم) (٨) فرفع الى الغلام وقال : ياشيطان فهمت غرضك ، ولا شك انك استحسنت القباء فهو لك ، (فسرِّيَ عن الغلام وعن جميع من حَضَرَ) (٩) .

---

(١) لم أجده في شرح ديوان عنترة بن شداد .

(٢) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : لو لم يكن عن الكرم لفاعله تعويض . . .

(٣) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : ابن طولون .

(٤) زيادة من «م» .

(٥) زيادة من «م» سقطت من «س» و «ن» .

(٦) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : فانقلب منه على قباء خافقيه .

(٧) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : يحيي الغلا م

(٨) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : ففهم بخوف الغلام .

(٩) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : ثم ادعى بغيره فلبسه ورمى بالقباء للغلام . قال الحاكي : فسر بذلك الغلام والجماعة ولم يبق أحد حتى اعلن بالدعاء لأحمد فيما فعل .

سئل بعض البلغاء : أيَحسُنُ بالكريم يناقش بضيفه أم يسكت عنه أم يحتفل به أم (يقدِّم)(١) له ماانفق ؟ قال : الأحسن بالكريم أن لايظهر عليه الكلفة (٢) بقول ولا فعل . وقيل : يقبُح بالكريم أن يغتاظ على غلمانه بحضور ضيوفه ، ويغفر له غيظه على طباخه خاصة اذا أبطأ بالطعام .

(قال الشيخ ابو الحسين) (٣) : ووقفت في أخبار عمارة الشاعر اليمني (٤) قال : كنت هجوت ابن دخان وهو يومئذ صاحب ديوان الدست فشكاني الى السلطان شاور فأعرض عنه ، ثم اشتكاني ثانيةً (٥) فأعرض عنه ، ثم اشتكاني ثالثة » (٦) فالتفت اليه وهو (مُغْضَب) (٧) مُحْرَج (فزَجَره ثم زجره) (٨) وقال : (ياهذا) (٩) ماتستحي من أن تشكو لي رجلاً (١٠) يأكل (معي على مائدتي ليلاً ونهاراً) (١١) . قال عمارة : فلم أشعر إلاّ وقد حضر ابنُ دُخان الى داري ليلاً وحمل اليّ راتبي (بكماله) (١٢) الى آخر السنة .

وحكَى بعض أصحابنا (١٣) قال : كنا عند الشيخ الزاهد أبي العباس بن تامتيت (١٤) ــ نفع الله به ــ فقدم لنا طعاماً فأكلنا (بغير اذن) (١٥) ، فقال بعض الجماعة : ياسيدي قد أسأنا الأدب وأكلنا بغير اذن ، فقال الشيخ : فاذن لاترفع يدك الا باذن .

---

(١) كذا في «م» و «ن» وسقط من «س» .
(٢) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : ان لا يظهر الكلفة على ضيفة .
(٣) زيادة من «م» .
(٤) هو عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي اليمني الشاعر الفقيه الاديب من أهل اليمن المتوفى سنة ٥٦٩هـ . انظر وفيات الاعيان ٣٧٦/١ والسلوك للمقريزي ٥٣/١ عن الا علام للزركلي ١٩٣/٥
(٥) كذا في «س» و «ن» أما في «م» في اليوم الثاني .
(٦) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : في اليوم الثالث .
(٧) زيادة من «م» .
(٨) زيادة من «م» .
(٩) زيادة من «م» .
(١٠) كذا في «س» و «ن» أمافي «م» : الرجل
(١١) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : يأكل يومه وليلته .
(١٢) زيادة من «م» .
(١٣) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : اصحابي .
(١٤) كذا في «ن» أما في «س» : فامتليه واما في «م» : فامتيت .
(١٥) زيادة من (م) .

ووقفت على خطبة خطبها القاضي ابوبكر بن فريعة(١) في دار ابي أسحاق الصابي(٢) الكاتب، (وقد عمل له ولجماعة من أصحاب الوزير المهلبي) (٣) طعاماً ، ولم أسمع أغرب منها أسلوباً ولا أحلى ألفاظاً وهي :

الحمد لله الذي تيّنَ فوَزَرَ ، وعَنّبَ فرَزَقَ ، ورَطّبَ فسَكّرَ ، وخَوّخَ فشَطَبَ ، وكَمثرَ فسَحْبَنَ (٤) ، ومَشْمشَ فصَفَّرَ ، وبَطّخَ فعَبْدَلَ (٥) وتفّحَ فعَطّرَ ، ومَوّزَ فأنضَجَ ، ودَقّقَ فحَوّرَ ، وجَرْدَقَ (٦) فسَمّدَ ، وَبوْرَدَ (٧) فكَثّرَ ، وسَكْرَجَ (٨) فلَوّنَ ، ومَلّحَ فطَيّبَ ، وخَلّلَ فسَفْتَجَ (٩) ، وخَرْدَلَ فحَرّقَ ، وبَقّلَ فخَضّرَ ، وبَوْرَنَ (١٠) فنَعّمَ ومَصّصَ فحَمّضَ ، وطَجّنَ (١١) فجَفّفَ ، وسَنْبسَ (١٢) فثلّثَ ، وبَزْمَرَ (١٣)فلّفَ،(١٤) وجَبّنَ فصَعْتَرَ (١٥)،وَقَثّأَ فَدفَقَ ،وسَكْبَجَ (١٦)

---

(١) كذا في «س» أما في «ن» : قريفة وفي «م» : وديعة ولم اهتد اليه .

(٢) هو ابراهيم بن هلال ابو اسحاق الصابي من الكتاب المشهورين في زمن المطيع لله العباسي، المتوفى سنة ٣٨٤هـ . انظر ابن خلكان ١٢/١ ، يتيمة الدهر ٢٣/٢ .

(٣) هو الحسن بن محمد من ولد المهلب بن ابي صفرة الاردي ، ابو محمد ، وزير الدولة البويهي المتوفى سنة ٣٥٢هـ .انظر يتيمة الدهر ٨/٢ . والنص المحصور بين القوسين من «س» و «ن» وقد سقط في «م» .

(٤) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : فسحتن .

(٥) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : فيعدل .

(٦) كذا في «س» و «م» أما في «ن» : خردق . والجردق : الرغيف ، (معرب) ، انظر « اللسان » .

(٧) كذا في الاصول الثلاثة ولم أهتد الى أصله ومعناه . وقد ذهب ظني الى انها مصتفة عن « بورن » بالنون واستبعدته لورود « بورن » في السطر الذي يلي .

(٨) سكرج فعل مولد من السكرجة بضم السين والكاف وفتح الراء مع تشديده أو من الاسكرجة وترجمتها « مقرب الخل » انظر « المعرب » .

(٩) كذا في الاصول الثلاثة ولم اهتد الى معناه .

(١٠) لعلها من « بوارنية » وهي أكلة منسوبة الى بوران زوج المأمون . انظر كتاب الطبيخ ص ٤٠

(١١) لعلها من الطاجن بفتح الجيم او كسرها وهو المقلى (انظر المعرب) .

(١٢) لم اهتد اليه ولعلها من السنبوسج وهو ضرب من المعجنات .

(١٣) لم اهتد اليه . (١٤) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : فلفت .

(١٥) صعتر من الصستر وهو من التبول .

(١٦) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : سلج وهو من السكباج .

فزَعْفَرَ ، وهرَسَ فصَوْلَجَ (١) ، وبصَّلَ فعَقَد ، وسَبْذَجَ (٢) فصَعّدَ ، وسَمّقَ (٣) فَمزَّزَ ، وطَهْبَجَ (٤) فَدرْهَمَ (٥) ، ودَقّقَ فعَجّجَ ، وجَدَّأ(٦) فرَضَعَ ، ورَحَل فكَحّلَ (٧) وبطّطَ فصدَّر (٨) ، ودَجّجَ فسَمّنَ ، وفرَّخ فطَيَّرَ (٩) وكبّبَ (١٠) فبَزَّرَ ، وجَوْذبَ (١١) فدَهّن ، ورزَّز (١٢) فأَنْشَرَ (١٣) ، وخبّصَ (١٤) فضَفّرَ ، وفَلْذَجَ (١٥) فحمّر ، وقَطّفَ (١٦) فأدْهَنَ ، ولَوْزَجَ فأغرَقَ .

أحمَدُه على الضِرْس الطَحون ، والفَم الجَروش ، والحَلْق البَلوع ، والمَعِدة الهَضوم ، والفَلْ النثور ، والذكَر القَيوم ، والعَين النَؤوم ، والغَداء والعَشاء ، والفَطور والسحَور ، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لاشريكَ له ، خالقَ الشَهَوات ، ومُحلّل الطيّبات ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، مُبيح المُحَلّلات ، ومانع المحرّمات . وأن أبا اسحاق بن هلال أرشَدَه الله — أطعَمَنا فصَدَرنا ، وأماهَنا فأثلجَنا ، وسقانا فروّانا ، وبخرَّنا فنَدَّنا ، وموردنا فعطّرَنا ومَدَّ ستارته فأسمَعَنا وأطْرَبنا ، واستَنْشَدناه فأنشَدَنا ، واستَحْدثناه فحدّثنا ، فارفعوا أيديَكم الى الله ، عبادَ الله ، بأن يجمَعَ شملنا لديه ويُسهّلَ الدعوةَ الثانية عليه ، إنّه سميع مُجيب ، واستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم ولكافةِ المسلمين ، واستغفره إنه غفور رحيم .

---

(١) لم اهتد اليه .
(٢) لم اهتد اليه ، ولعل الفعل مصنوع من الاسفيذباجة وهو ضرب من انواع الطبيخ . انظر كتاب الطبيخ ص ٣١ .
(٣) من السماق (بضم السين وتشديد الميم) حبة حامضة .
(٤) لعله من الطباهجة وهو ضر ب من اللحم يعمل على طريقة خاصة . انظر كتاب الطبيخ ص ١٦
(٥) لم اهتد اليه .
(٦) لم اهتد اليه .
(٧) لم اهتد اليه .
(٨) لم اهتد اليه .
(٩) لم اهتد اليه .
(١٠) لم اهتد اليه .
(١١) مأخوذ من الجوذاب ، والجواذيب من أنواع الحلوى ، وتعمل من مواد مختلفة مع السكر .
(١٢) رزر من الرز .
(١٣) أنشر : الانشار من صفات الرز وهو ان يكثر ويكبر .
(١٤) خبص من الخبيص وهو الحلوى .
(١٥) من الفالوذج وهو ضرب من الحلوى .
(١٦) قطف من القطائف وهو ضرب من الحلوى .

الباب الثاني
في آداب المضيف مع ضيفه

قال الله تعالى : « هل أتاكَ حديثُ ضَيفِ ابراهيم المُكرَمينَ » (١) . قال ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيُكرِم ضَيفه ولا يُؤذي جاره » (٢) وقال ــ عليه الصلاة والسلام : « سيّد القَوم خادمهم » (٣) وقال الشاعر : (٤) (من الطويل)

وإنّي لعبدُ الضَيف مادامَ ثاوياً ولا شيمة لي غيرَ ها تُشبه العَبْدا

يجب على الكريم ان يخدم أضيافه ، وأنْ يُظهرَ لهم الغنى وبَسْطَ الوجه ، ويحادثهم بما تميلُ نفوسُهم اليه ، ولا ينامَ قبلهم ،ولا يشكوَ الزمان بحضورهم ، ولا يُحَرّضَهم على (٥)المسير بقول ولا فعل ، وأنْ يُبدِيَ التألمُ عند وداعهم ، وقال الشاعر : (٦) (من الطويل)

أُضاحك ضَيفي قبل إنزال رَحْلِه فيُخصِب عندي والمحَلُّ جَديبُ

وقال آخر : (٧) (من الطويل)

لحافي لحاف الضَيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزالٌ مُقنّعُ

أحدّثه ان الحديثَ من القِرى (٨) وتعلمُ نفسي أنّه سوفَ يهجَعُ

---

(١) سورة الذاريات ٢٤ .

(٢) لم اهتد الى تخريجه . (٣) لم اهتد الى تخريجه .

(٤) هو المقنع الكندي : انظر « شرح ديوان الحماسة » للمرزوقي ص ١١٧٨ . والبيت من مقطوعته المشهورة التي مطلعها : وان الذي بيني وبين بني أبي و بين بني عمي لمختلف جـــدا

(٥) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : يحضهم .

(٦) هو الخريمي اسحاق بن حسان بن قوهى (انظر الحيوان ٢٢٤/١) وانظر حاشية٢ في البيان والتبيين ١١/١

(٧) هو عروة بن الورد العبسي ، ديوانه ١٠٠ . ونسب البيتان في الحماسة (٣٣٥/٢ الى عتبة بن بجير أو مسكين الدارمي . ونسبا مع غيرهما في الاغاني (١٤٩/١١) الى العجير السلولي . انظر حاشية ــ البيان والتبيين ٢ (١٠/١) والبيتان في « البيان والتبيين » .

(٨) كذا في (م) أما في «س» و «ن» : « اجدد نيران الحديث من القرى » .

وبلغني عن بعض الكرماء أنه استدعى جماعةً من أصحابه الى بستان بدمشق ، وقد عمل لهم وليمة ، (١) وكان له ولد من أحسن الناس وجهاً ، وأكملهم ظَرْفاً ، وأتمّهم أدباً ، وكان في أول النهار يخدم الجماعة ويُؤنسهم ، فاتفق أنه طَلَع الى أعلى الجوسَق (الذي في البستان) (٢) في حاجة فسقط فماتَ لوقته ، فأرادت أمّه وجواريه ان يصَرخْنَ ، فطَلَع أبوه وحلف بالعِتْق والطلاق لايتكلّم أحد منكنَّ الى بُكرة غدٍ حتى ينصرف القوم فان ذلك ينغصٌ عليهم لَذّتهم ، فامتثَلْنَ (ما أشارَ به) (٣) ، ثم عاد الى القوم فَحَضَرَ السماع ، وأظهَرَ المسرّة والأنس بهم ، فَجَعَلَ الجماعة يتفقّدون الشابَّ ويسألون عنه فيقول لهم : ربّما نام . فلما أصبحوا وقُدِّم لهم الطعام وأرادوا الانصراف قال : لعلّكم تحضُرون جنازة ولدي فلان فانه قد مات من البارحة وقَصَّ عليهم القصة ، فلم يبق إلا من استعظم مُروءة الرجل وشَكَرَ همته وأثنى على جميل صبره وعقله ، قال الشاعر (٤) : (من البسيط)

لاتحسب المجدشهداً(٥) أنت آكله لن تبلغ المجدَ حتى تَلْعَقَ الصَبِرا

دخل رجل على قيس بن عاصم وهو يأكل فقال له : أيها الأمير قد جئتك شافعاً في فلان ، وقد كان يطلبه بثأر ، فقال : أما وقد حضرتَ (مجلسي) (٦) وأكلت من طعامي فأنت حاكم لا شافع .

وينبغي (للمضيِّف ان يأمر غلمانه بحفظ دوابِّ الضيوف) (٧) ، وان يتفقد غلمان أضيافه بما يكفيهم من الطعام ولا يهمل ذلك ، (وان يأمر غلامه بحفظ نعال الضيوف) (٨) . وينبغي له ايضاً أنْ لا يُروِّعَ اضيافه بقول ولا فعل .

---

(١) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : سماعاً .
(٢) سقط من «م» .
(٣) كذا في «ن» أما في «م» : فامتثلن عن البكاء والصراخ امتثالا لأمره .
(٤) لم ينسب في « ابيات الاستشهاد » لا حمد بن فارس ص ١٥٧ .
(٥) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : تمراً ، وكذلك في « ابيات الاستشهاد » .
(٦) زيادة من م . (٧) زيادة من م .
(٨) زيادة من «س» و «ن» وسقط في م » .

كما حكى بعضهم قال : استدعاني اسحاق بن ابراهيم الظاهري (١) الى أكل هريسة في بكرة نهاره، فدخلتُ فأحضرَ هريسة (٢) فأكلنا ، فاذا بشعرة جاءتْ على لقمةٍ ذَهَلَ عنها طبّاخه حتى وقعَت في القِدر ، فاستدعى خادماً وأسرَّ له بشيءٍ لم أعلم ماهو ، فغاب الخادم ثم حَضَرَ ومعه صينيّة مغطّاة فكشف عن الصينيّة فاذا به قد أحضرَ يَدَ الطبّاخ مقطوعة وهي تختلج ، فكدَّرَ علينا عيشنا ، وخرَّجنا (٣) من عنده ونحن لانعقِل .

(١) لم اهتد الى معرفته .

(٢) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : فلما حضرت الهريسة .

(٣) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : وقمنا .

الباب الثالث

في تسهيل الحجاب وقت أكل الطعام

حُكِيَ أنّ عليّ بن ماهان (١) عمل مأدبة (٢) واستدعى أبا دُلَف العجلي(٣) من الكَرَج فجاء بعض الشعراء ليدخل دار عليّ فمنعه الحاجب ، فقال له : دعني أدخلْ فاني شاعر ، (فقال له الحاجب) (٤) : ولذلكَ رَدَدتك ، فتعرَّض الشاعر لأبي دلف وبيده ورقة فأخذها منه فاذا فيها : (٥)

(من مجزوء الخفيف)

قل (٦) له إن لقيتَـــــه مُتَأنّ بـــلا رَهَـــجْ
جئتُ في ألـــفَ فـــارسٍ لغَـــداء (٥) مـــن الكَـــرَجْ
ماعلى الناس بعـــدها في الـــدنيات مـــن حَـــرَجْ (٧)

فرجع أبو دَلَف وحلف أنْ لايدخلَ الدارَ ولايأكل شيئاً من الطعام فتنغّصَ عيش صاحب المأدبة (٨) ، وضاع ماصنَعه ، وسبب ذلك كون حاجبه وقف (٩) فيما يأكله ذلك المسكين . وما أحسن قول شاعر الحكماء (١٠) .

(من الكامل)

رَحْبُ الفِناء اذا حَلَلْتَ (١١) مَحَلّه
طَلْقُ الجَبين مـؤدّب الخُدّام
واذا رأيت شقيقه وصـــديقَه لم تدرِ أيّهما ذوو الأرحـــام (١٢)

---

(١) علي بن عيسى بن ماهان من كبار القادة في عصر الرشيد والأمين المتوفى سنة ١٩٥هـ . انظر النجوم الزاهرة ١٤٩/٢ والكامل لا بن الأثير ٧٩/٦ .

(٢) كذا في «ن» و «م» أما في «س» : مائدة .

(٣) هو القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل احد الأمراء الشجعان في عصر هارون الرشيد وكان امير الجبل ، ثم كان من قادة جيش المأمون . توفي سنة ٢٢٦هـ . انظر وفيات الاعيان ٤٢٣/١ ، تاريخ بغداد ٤١٦/١٢ .

(٤) سقط من «م» .

(٥) في «م» : فاذا فيها مكتوب .

(٦) كذا «م»و «ن» أمافي «س» : قال .

(٧) في «س» : الذيات وفي «م» و «ن» : الدنات

(٨) كذا في «ن» أما في «س» : المائدة ، واما في «م» : الوليمة .

(٩) في «م» : نظر .

(١٠) لم اهتد اليه

(١١) كذا في «م» اما في «س» و «ن» : دخلت .

(١٢) في «م» : أرحام .

ولقد أحسن (١) الخالدي حيث يقول :

وحاجبي فالخفيف منحبس عندي به والثقيل مطرَّدُ (٢)

وقد قيل إن الغلام الحاذق يستر سيده وان كان متغفّلاً (٣) . وقد رأينا من الحُجّاب الجُهّال من يقول : لايمكن الدخول لأستاذنا لانه يأكل ، وهذا من ابلغ الهجاء وأشنعه .

وقيل لبعض الحجّاب وكان على باب كريم : متى تفرغ ولايتك ؟ فقال : متى حَضَر طعام مخدومي (٤) .

وقيل لبعض الأمراء الكرام : لابأسَ من الحُجّاب لئلاّ يدخل من لايعرفه الأمير احتراساً (٥) من عدوّ فقال : ان عدواً يأكل خبزنا فلا ننخدع به لن يُمكِّنَه الله منا ، ولن يُظفره بنا .

واستُدْعي بعض الأعراب الى دار بعض الامراء وقت غَدائه ، فقال الحاجب : اصبرْ حتى نشاور عليك ، فقال الأعرابيّ : انما نعرف المضّيف يخرج ليَلقَى ضيوفه ولا نعرف هذا الحرص إلا على القلاع ، وحفظ نفوس الملوك ، وأما على الخبز فلا .

ووقف بعض المطابيع على باب بعض الأمراء ، والطعام قد حَضَرَ ، فخرج حاجب الأمير الى الباب فقال لذلك المطبوع : هل لك حاجة ؟ فقال نعم ، قال ماهي ؟ قال : اذا دخلت أقر (٦) مني خبز الأمير السلام ، فقال له الحاجب : والأمير ؟ فقال : لا .

---

(١) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : وما أحسن قول الخالدي .
(٢) كذا في «م» و «ن» أما في «س» : منصرد .
(٣) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : مغفلا .
(٤) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : عند حضور الطعام لمخدومي .
(٥) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : احترازاً .
(٦) كذا في «م» : أما في « س» و «ن» : تقري .

ومن تدليس البخلاء أنهم يسألون حُجّابهم : هل على الباب أحد ؟ فيقولون : لا . وليس الفائدة بهذا السؤال الا التجمُّل عند جُلسائهم .

(قال ابو الحسين المؤلف : كتَبْتُ على باب بعض الكتّاب وقد أتيته فاحتَجب عنّي فقلت) (١) :

(من الكامل)

ماذا يُفيدك ان تكون محجّباً ... والعبدُ بالباب الكريم يَلوذ
ما أنت الا في الحصار معي فلا ... تَتعَبْ فكلٌ مُحاصَرٍ مأخوذُ

وَكتبتُ على باب بعض الأمراء :

(من المتقارب)

أمولايَ مامن طباعي الخُروجُ ... لكن تعلّمتُه في الخُمولْ
وصرتُ لديك أروم الغِنى ... فيحرُجني الضرب عند الدخولْ (٢)

والأولى بالرئيس ان يمنع حاجبه من الوقوف ببابه ساعة الطعام ، فان ذلك أستر له ، وأقلُّ للشناعة عليه ، ولا سيّما اذا كان مطبخه خارجاً عن داره ، وطعامه ينقل اليها ، وعلى بابه من استحكَمَ جوعهُ وضاق عَطَنه ، فان ذلك يبعث القلوب على بغضه والألسنة على ذمّه .

---

(١) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : كتبت على باب بعض الكتاب وهو محجب .

(٢) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : دخلت لبابك ابغي الغنى ... فاخرجني . . .

البـــاب الرابـــع

في الذي يشغله نَهَمه عن حقوق ضيفه (١)

(اعلم ان النَهم اذا رأى الطعام عَدِمَ تثبته عن أكله ، ولا يفكر فيمن غضب ولا يلتفت على من اغتاظ ، وهو مشتق من الشَرَه ، وبئس الاخلاق هو) (٢) .

(قيل لبعض الحكماء : هل النَهِم هو البخيل ؟ فقال : لا ، البخيل الذي يبخل على جوع وشِبَعٍ ، والنهمِ الذي يحمله على البخل عدم تثبته ، فاذا راجع نفسه وذهبت عنه سورة الجوع ، رأى باطعام الطعام) (٣) . .

(ومن جملة عدم التثبيت لمن يلي به ماحُكِيَ عن سليمان بن عبد الملك)(٤) أنه كان نهماً على طعامه (وكان اذا حضر بين يديه الخراف المشويّة) (٥) يلفّ بأطراف أصابعه مفاضل كمّه ويتناول بها الكُلى من بطون (الخراف وهي في غاية ما تكون من الحرارة) (٦) ، ولا يمهل حتى تبرُد .

(وقد ذكر ذلك عن الأصمعي في أيام الرشيد لما وجد سَفَطاً فيه ثياب مُذْهَبة ثمينة ، وأكمامها سهكة بالدُهن في ذخائر بني أمية ، والقصّة مشهورة) ، (٧) .

وقال بعضهم : كان اليزيديّ . بخيلاً ، وقال آخر : كان نهماً . ولقد حضرت عنده يوماً فقَدَّمَ جَدْياً مصلوقاً فأكلتُ أكتافه ، (ثم قَدَّمَ جَدْياً مشوّياً

---

(١) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : عن ضيوفه .

(٢) زيادة من «م» وسقط من «س» و «ن» . (٣) زيادة من «س» و «ن» وسقط من «م» .

(٤) زيادة من «م» . (٥) زيادة من «م» .

(٦) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : الحملان وهي في شدة الحرارة .

(٧) زيادة من «س» و «ن» وقد سقط من «م» .

فأكلتْ أكتافه) (١) ، ثم قدّم جدْياً بماء حمّص فأكلت أكتافه ، فلم يستطع صبراً ان قال لي : اليوم أنت سابور ذو الاكتاف . فانظر الى غلط هذا الرئيس كيف حمله غيظه من شدة النهم حتى وقع في هذه المخزية العظمى ، حتى انطوت عليها الكتب وبقيت تاريخاً الى آخر الأبد .

وقيل : قلّ أنْ يسلمَ النهِم من الغصص وان صغّرَ اللُّقم .

قال بعض الحكماء : النهم اذا جاع لايعتقد أنه يشبع أبداً ، واذا شبعَ لا يعتقد أنّه يجوع ابداً ومن الرؤساء النّهمين من يداوي جوْعته بأكلةٍ قبل حضور أضيافه لعلمه أنه لايملك نفسه ولايحكم عليها (عند حضور الطعام) (٢)

قال بعض الحكماء : من لايملك نفسه عند الأكل ، لايملك فرجه عند المعصية

---

(١) كذا في «س» و «ن» وقد سقط في «م» . (٢) زيادة من «م» .

الباب الخامس
في ذمّ البخل على الطعام

قيل لبعض البخلاء : ما الفرج بعد الشدة ؟ فقال أن تحلف على الضيف (فيعتذر بالصوم) (١) .

وبلغني أن أبخل أهل بلاد الله مَرْو . ومن غريب ماسمعت عنهم ان الديكة في سائر بلاد الله تؤثر الدجاج بالحب الا (في هذه البلد) (٢) فانها تضارب الدجاج عليه .

وبلغني ان رجلاً (حضر يختصم الى الحاكم بها) (٣) فقال : (ياحاكم المسلمين اشتريت البارحة رأس خروف مصلوقة (كذا) فأكلتها وجعلت عظمها عند بابي لأتجمل بذلك بين جيراني فجاء هذا فنقل العظم الى عند بابه لينسب هو الى ما طلبت أن أنسب اليه ، فقال القاضي للرجل رُدَّ العظم الى عند داره ، فلَعَن الله هذا ولَعَنَ من يرتضي بجواره) (٤) .

وخاصم (رجل) (٥) بعضهم فسمعه الحاكي يقول له : ويحك ، أنت يوماً (تقعد على باب داري) (٥) ، ويوماً تجلس في ظل جداري ، ويوماً تقول لي : كيف راح فلان ، فهل بلغك أنني عليّ مطلب . ورأى رجل منهم صديقاً له من أهل بغداد (وهو يتغدّى فتعرّف اليه) (٦) فانكره ، فذكر له (علامات فلم يعترف منها بشيْ) (٧) ، فكشف البغدادي عن جبينه لعله يعرفه ، فقال : والله

(١) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : فيقول : أنا صائم .
(٢) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : فيها .
(٣) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : احضر رجلا الى القاضي .
(٤) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : ياحاكم المسلمين اشتريت البارحة رأساً فأكلت لحمه وطرحت عظمه على بابي . . . فجاء جاري هذا فنقله الى بابه » .
(٥) كذا في «س» و «ن» وسقط من «م» . (٦) كذا في «م» وسقط من «س» و «ن» .
(٧) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : فذكر له علائم فلم يعترف بها .

خرجتَ من جلدك ماعرفتك (حتى أفرُغ من غذائي) (١)

وحكَى لي صاحب قال : كان العماد المحليّ يقول : ليس الشجاع عندي عمرو بن معـــديكرب (ولا عنترة العبسيّ) (٢) ولا خالد بن الوليد ، وليس الشجاع الا الذي يؤكل طعامه بحضرته وهو صابر .

ومن البخلاء (من يستحسن طعامه ويصف زباديه ويشتهي ان تبقى على حالها)(٣) ومنهم من يحضر طعامه فاذا رأته ضيوفه ، أمر بأن يُرفع أطيبه وأشهاه الى النفوس ويعتذر بأن من أصحابه من يحضر الغداة بعد انصرافهم (فاذا خرجوا من عنده أكله وحده) (٤) .

وشَوَى بعض البخلاء د جاجاً فقدمت له واحدة فوجد فخذاً قد عدم ، فنادى في داره من (ذا الذي) (٥) تعاطى فعقر ، والله لأخبزنّ في هذا التنور خُبزاً مدة شهر ، فقال له غلامه وكانَ ذكياً : يا سيدي : « أتهلكنا بما فعل السفهاءُ منّا » (٦) ، فقال له : ويحك أما قرأت : « واتقوا فتنة لاتُصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة » (٧) .

(وقام ابو الأسود الدؤلي — رضي الله عنه — ليلةً من فراشه ليتفقّد حماره (فوجده) قائماً يأكل ، فقال : أنا قائم وأنت تسري في مالي ، والله لابقيتَ على مِلكي أبداً) (٨) .

وبلغني عن بعض البخلاء أنه استأذن عليه ضيف وبين يديه خبز وزبدية فيها عسل نحْلٍ ، فرفع الخبز وعجّله الضيف أن يرفع العسل ، فظنّ البخيل أن ضيفه لايأكل العسل الا بالخبز فاطمأنّ لذلك وقال لضيفه : يمكن أنْ تأكل عسلاً بلا خبز . فقال : نعم ، وجعل يلعق لعقةً بعد أخرى ، فقال البخيل : والله ياأخي هذا يحرق القلب ، فقال : صدقتَ ولكن قلبك .

---

(١) زيادة من «م» .
(٢) زيادة من «م» .
(٣) كذا في «س» و «ن» وسقط من «م» .
(٤) كذا في «م» وسقط من «س» و «ن» .
(٥) كذا في «م» وسقط من «س» و «ن» .
(٦) سورة الاعراف ١٥٥ .
(٧) سورة الانفال ٢٥ .
(٨) كذا في «س» و «ن» وسقط من «م» .

قال بعض المطابيع : غَلَبَ عليَّ الجوع مرةً فقلتُ أمضي الى دار فلان لأتغدى عنده ، فجئت الى بابه فوجدت غلامه ، فقلت : أين سيدك ؟ فقال : لا قلتُ لك أين هو إلا بكسرة خبز ، فرجعت هارباً .

وحلف بعض البخلاء على صديق له فأحضَرَ له خُبزاً وجبناً وقال : لاتستقلَّ الجبن فانه بثلاثة دراهم الرطل (١)، فقال له ضيفه : أنا أجعله بدرهم ونصف الرطل ، قال كيف ذلك ؟ قال : آكل لقمة بجبن ولقمةً بلا جبن (٢) ، فقال المضّيف : (هكذا فعل المسلمين المؤمنين الذين يخافون الله تعالى) (٣) .

يتبـــع

ابراهيم السامرائي

---

(١) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : كل رطل .
(٢) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : بغير .
(٣) كذا في «م» وسقط من «س» و «ن» .

القصور الأموية في بادية الشام

صورة قبة السماء في قصير عمره

شريف يوسف

من المعلوم ان الجيوش العربية كانت تتألف من عدة قبائل ، وهذه القبائل اعتادت على حياة الصحراء ، وكانت تفضل السكن في البادية على السكن في المدن التي تمّ لها فتحها في بلاد الشام والعراق ومصر وشمال افريقية ، وقد أسست لها معسكرات في البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان ، قسمت وخططت وفقاً للقبائل التي سكنتها ، فجعلوا لكل قبيلة خطة ، وامتدت الشوارع بصورة متعامدة بين تلك الخطط ، كما اتخذت (الجابية) الواقعة جنوب دمشق مركزاً للحكومة عندما تمّ فتح بلاد الشام .

خلفاء بني أمية وميلهم للصحراء

لقد كان معظم خلفاء بني أمية يميلون الى حياة البـــداوة والعيش في البوادي والصحراء ، شأنهم في ذلك شأن أمراء غسان من قبل . وقد فضل معظمهم ، ما عدا معاوية وعبدالملك ، الابتعاد عن الحاضرة دمشق والسكن في الصحراء وعدم الرجوع الى المدينة الا اذا اضطروا للحضور لبعض المراسيم المعينة ، ولهذا نجد لهؤلاء الخلفاء وأفراد عائلاتهم ورجال دولتهم مواضع خاصة في البيداء والأماكن القريبة من الواحات يترددون اليها في موسم الربيع للنزهة والصيد .

كانت مزاضعهم في باديء الأمر خياماً ينصبونها لمدة من الزمن ثم ترفع عندما يعودون الى المدينة ، ولكن ما لبثوا ان أخذوا في تشييد القصور في وسط الصحراء ، فكانت تلك اشبه بالقلاع الحصينة ، جعلوا فيها جميع وسائل الراحة لهم ولأفراد عائلاتهم وحاشيتهم وحراسهم . وكانت القلاع البيزنطية القديمة المشيّدة في الصحراء والمنتشرة من خليج العقبة جنوباً الى تدمر شمالا جاهزة لاتخاذها أماكن سكن بعد ادخال بعض الاصلاحات على بنائها في الداخل والخارج .

كانت والدة الخليفة يزيد بن معاوية (٦٨٠ – ٦٨٣ م) بدوية ، وقد اعتاد يزيد ان يخرج الى (الحوارين) الواقعة الى الشمال الغربي من (القريتين) ، والتي تبعد نحوخمسين ميلا شمال شرقي مدينة دمشق في الطريق الممتد الى (تدمر) . اما الخليفة مروان بن الحكم (٦٨٤ – ٦٨٥ م) فقد عاش متنقلا بين القبائل البدوية ، وخاصة مع قبيلة بني كلب ، بينما نجد الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٨٥–٧٠٨م) يغيّر موضع سكناه بين (الصنبّرة) الواقعة جنوب بحيرة طبرية وبين بعلبك والجابية .

وكان الخليفة الوليد بن عبدالملك (٧٠٥–٧١٥م) يفضّل السكن في (البلقاء) ، ونرى أخاه سليمان (٧١٥–٧١٧م) ، الذي ولد في الصحراء يقوم في بناء (الرملة) ويتخذها مقراً له .

ولاهتمام الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٧١٧–٧٢٠م) بشؤون الزراعة اتخذ من (دير سمعان) القريبة من معرة النعمان والواقعة على بعد أربعين ميلا شمال الحمة سكناً له ، وقد مات ودفن فيها .

واما الخليفة يزيد الثاني بن عبدالملك (٧٢٠ – ٧٢٤ م) فكانت أمه عاتكة بنت يزيد الأول ، وطباعه بدوية تجعله يفضل السكن في الصحراء في (الموقر) الواقعة بين (قصر المشتى) و (قصر خرانة) ، وكان يقضي معظم أوقاته مع

الشعراء ويستمع الى الغناء ويتمتع بمشاهدة الراقصات ، وقد أصبح غرامه بالنساء ولا سيما بمحظيته (حبابة) والمغنية (سلامة) مضرب الأمثال ، حتى طغى عليه حب حبابة ومات بعد وفاتها ببضعة أيام(١) .

وعندما تولى الخلافة هشام بن عبد الملك(٧٢٤–٧٤٣)فضّل العيش في (الرصافة) ومات فيها ، وقد شيّد في الصحراء قصورا غرس حولها الأشجار وعمل فيها البرك، وكان احدها (قصر الحير الغربي) الواقع على بعد أربعين كيلومتراً الى الشرق الشمالي من (القريتين) على الطريق الممتد بينها وبين (تدمر) ، وقد كشف عنه الاثري الفرنسي (دانيال شلومبرجه) ونقلت بقاياه الى دمشق حيث نصبت في مدخل المدينة الغربي. والقصر الاخر الذي بناه هشام يعرف الآن بـ (خربة مفجر) قرب (أريحا) في فلسطين ، وسيأتي شرحنا لهذا القصر فيما بعد .

وعاش الوليد الثاني بن يزيد الثاني (٧٤٣ – ٧٤٤ م) عشرين سنة في الصحراء قبل ان يتولى الخلافة ، و عندما وليها لم يذهب الى دمشق ، فيذكر الطبري بانه ذهب الى (قصر الازرق) الواقع على بعـــد اثني عشر ميلا شرق (قُصير عمره) ،

---

(١) جاء في كتاب الاغاني ج١٦ ص ٧٠ « كان يزيد بن معاوية اول من سن الملاهي واستجلب المغنين الى الشام ، وكان شاعراً فجعل يقيم الحفلات الكبرى في بلاطه،ومن ثم أصبح الغناء والشرب صنوين متآلفين في تاريخ الدول الاسلامية . وقد شمل عبد الملك برعايته (ابن مسجح) من مغني الحجاز ، واستقدم الوليد ، وهو من دعاة الفن ، (ابن سريج) و (معبدا) الى العاصمة واحتفى بهما . وأعاد يزيد الثاني الشعر والموسيقى الى سابق مركزهما بعد ان كان عمر بن عبد العزيز ، الخليفة الورع المحافظ ، قد حال دونهما . وقد عول يزيد على مواهب حبابة وسلامة وشغف بهما . واصطفى هشام (حنينا) الحيري وانعم عليه ، كذلك كان الوليد الثاني صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء ، فاستقدم المغنين من البلدان المختلفة وأظهر العزف على العود ، واستقبل في بلاطه عدداً من أرباب الموسيقى والغناء منهم (معبد) المشهور .

وأورد صاحب الاغاني (ج٢ ص ٧٢) خبرا يصور مجلساً من مجالس شرب الخليفة الوليد بن يزيد رواه شاهد عيان ووصف فيه ما كان يمارسه هذا الخليفة من التهتك والمجون . ولم يكتف الخلفاء بالشراب بل استهواهم الغناء والموسيقى وبعض ضروب الرقص ، فاذا كان الخليفة ممن لايريد ان يشهر عنه ذلك جعـــل ستارة بينه وبين الندماء، اما الوليد فلم يتحاش عن المجون بحضرة هؤلاء . ولم يجئ آخر العصر الأموي حتى كان حب الغناء قد سرى في نفوس خاصتها وعامتها ، فاتخذ العباسيون ذلك الأمر سلاحا على الفت من ساعد خصومهم الأمويين ، وقاموا بنشر دعوتهم ويتوعدون (أعداء الله) .

وبقي بالقرب من (وادي الغدّاف) الذي يقع عليه (قصر التوبة) . وقد شغل (قصر قسطل) احياناً . والى هذا الخليفة يعزى ابتناء قصر آخر في هذه البقعة يعرف باسم (قصر المشتّى) ، ولم يكن بناؤه قد أكمل عند وفاته . وكان الوليد ذا ميل للطرب والشعراء ولد يه العديد من الزوجات والحظايا ، كما كان منهمكاً بالشراب . وقد قتل عندما كان في (قصر البخراء) الواقع في الصحراء جنوب تدمر

وسكن العباس بن الوليد الأول في (قسطل) كما سكن أخوه يزيد ، الذي لـم يتول الخلافة في حياته ، في (قصر المشتى) الواقع على بعد خمسة أميال شرق قسطل . وبعد مقتل الوليد الثاني عهدت الخلافة الى ابن عمه يزيد الثالث بن الوليد الأول ووعد ان يسكن في دمشق ولكن خلافته لم تدم الا اشـــهرا معدودة ، خلعه أخـــوه ابراهيم ولكن لم تتم له البيعة بصورة كاملة فتولى الخلافة مروان الثاني بن محمد بن مروان الاول (٧٤٤ — ٧٥٠م) الذي ترك دمشق وجعل (حرّان) مقراً له ، وقد انقرضت الدولة الأموية على يده بعد ست سنوات من توليه الخلافـــة (١) .

(لاحظ مواقع هذه القصور في الخارطة)

---

(١) ونحن حين نذكر ما كان عليه بعض خلفاء بني أمية من تهتك وانهماك بالقصف والملذات لايسعنا ألا ان نبين بكل افتخارأن من بين هؤلاء الخلفاء من لم يمس الخمر او يتماجن او يتخالع ، حتى ان هشام ابن عبد الملك مع انه جاء في اواخر الدولة ، كان لايشرب الخمر ولا يسقي أحدا في حضرته مسكراً ، وكان ينكر ذلك ويعيبه ويعاقب عليه . اما عبد العزيز فكان في سيرته أقرب الخلفاء الأمويين الى سيرة الخلفاء الراشدين من حيث الزهد والعدل .

و كان من مميزات هذه الدولة انها عربية بحتة شديدة التعصب للعرب كثيرة الاحتقار لسواهم . وقد حافظت على كثير من عادات الجاهلية كالمفاخرة والمباهلة ومناشدة الاشعار في الأندية العمومية .

هذا وقد شهد معظم المؤرخين بدهاء معاوية بن ابي سفيان في حقلي السياسة والادارة ، وقد أسس امبراطورية واسعة امتدت حدودها من الاندلس الى تركستان . و كان لعبد الملك بن مروان ذكر حسن في تاريخ التمدن الاسلامي لتعميم اللغة العربية في دواوين الممالك الاسلامية وقام بضرب النقود الذهبية بالعربية .

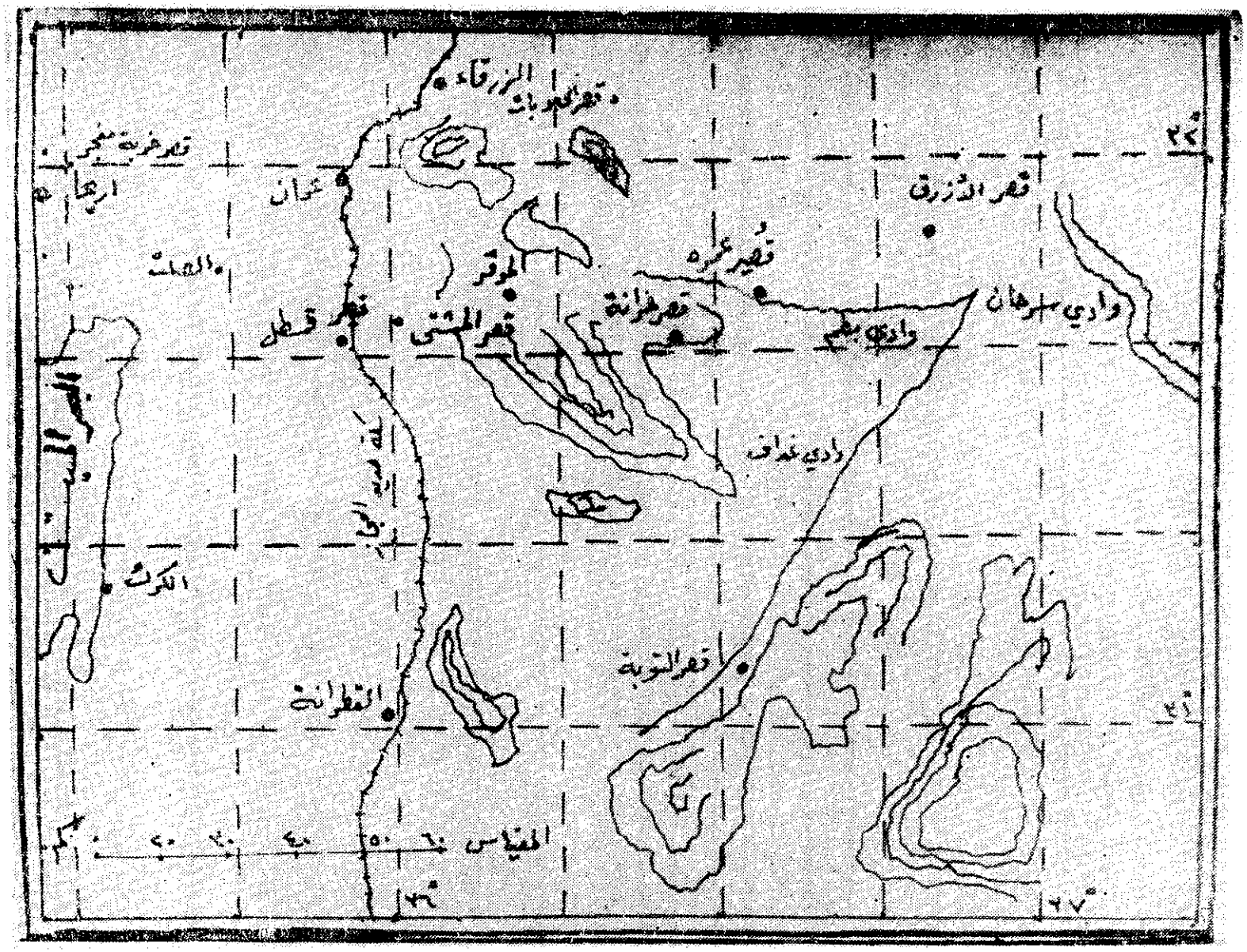

خارطة بادية الشام شرقي عمان وفيها مواقع بعض القصور الاموية في الصحراء

مشاهدات ودراسة لبعض القصور الاموية

قبل عشرين عاماً اسعدني الحظ بزيارة ثلاثة قصور أموية في بادية الشام : قصر المشتّى والقصر الاموي في خربة مفجر . وقُصير عمره مستصحباً معي بعض الأخوان الفلسطينيين والاردنيين ، وقد وجدنا ان قصر المشّتى من أضخم القصور الأموية وأجملها في هذه المنطقة . يقع على بعد عشرين ميلا جنوب شرقي عمان (أنظر الخارطة) ، وعلى بعد ثلاثة أميال الى الشمال الشرقي من محطة (زيزاء) احدى محطات سكة حديد الحجاز .

لقد وجدنا هذا القصر في حالة متهدمة ، نقلت معظم جدرانه المنقوشة في الواجهة الجنوبية الى متحف القيصر فريد ريك في برلين عندما أهدى السلطان عبدالحميد العثماني هذه الواجهة الى غليوم امبراطور المانيا سنة ١٩٠٣ .

تبلغ مساحة قصر المشتى ١٤٤×١٤٤ متراً ، وهذه المساحة مقسمة الى ثلاثة أقسام يتصدر القسم الوسطي منها ، وهو الأكبر (قاعة العرش) ويحيط بأبنية القصر الداخلية سور عظيم ذو أبراج ضخمة عددها ٢٣ برجاً ، قطر كل برج ٥ر٢٥ متراً وسمك الجدران ١ر٧٠ متراً ، ويقع مدخل القصر في وسط الجدار الجنوبي للسور ، يكتنفه برجان على شكل مثمن ، وفي وسط فناء القصر حوض ماء كبير مساحته ٥٧×٥٧ متراً ، وعلى يمين المدخل قاعة مستطيلة في جدارها الجنوبي محراب مما يدل على كونها مسجد القصر .

(لاحظ مخطط القصر وواجهة قاعة الاستقبال والزخارف المنقوشة في احجار جدرانه الخارجية) .

اكتشف هذا القصر العالم الاثري (لايرد) LAYARD سنة ١٨٤٠ ، وينسب بعض المؤرخين بناء القصر الى الخليفة الوليد الثاني(٧٤٣–٧٤٤م) . اما

العالم (ديو لافوى) فيعتقد ان البناء يرجع الى سنة ٦١٢م، بينما نجد (رافيورا) يعزي بناءه للخليفة يزيد الثاني (٧٢٠–٧٢٤م) ، ولكنه لم يكمل بناءه بسبب وفاته المبكّر(١) . (الصور ١ و ٢ و ٣ و ٤)

(١) جاء في كتاب (العرب في سوريا قبل الاسلام) تأليف رينه ديسو RENE DUSSAUD ترجمة عبدالحميد الدواخلي مايلي : ينسب العالم فركسون FERGUSSON قصر المشتى الى الفرس الساسانيين الذين احتلوا بلاد الشام من سنة ٦١١ الى سنة ٦٢٣م ، . ولما قام الاستاذ (شولتس) باعادة رسم بناء المشتى استخلص منه ان القصر كان قلعة روعي في بنائه ان يكون صالحا لسكنى واقامة فرقة من الجيش قسمت الى عشرة أقسام ، على ان البناء ظل غير كامل ، وعلى هذا الأساس فهناك شكوك تحوم حول اعادة بناء الاجزاء الجانبية بطريقة تنسجم تماما مع البناء ، الا ان الاستاذ (ستزريجوفسكي) يتخلى عن زميله ليأخذ بالرأي القائل بان المشتى كان قصرا ويدعم قوله بحجج تؤيده .

ومن الأدلة التي تؤيد ان قصر المشتى لم يبن في عهد الغساسنة اكتشاف صور وثنية فيه لايقبلها الغساسنة المسيحيون المتعصبون لدينهم والذين أقاموا الأديرة في كل مكان . ويعتقد الاستاذ (كليرموجانو) ان من الجائز ان يكون أمير من امراء الحيرة قد بنى قصر المشتى .

(صورة رقم ١)

بقايا قصر المشتى كما شاهدها كاتب المقال عند زيارتها سنة ١٩٥٢ مع بعض الاخوان الاردنيين والفلسطينيين

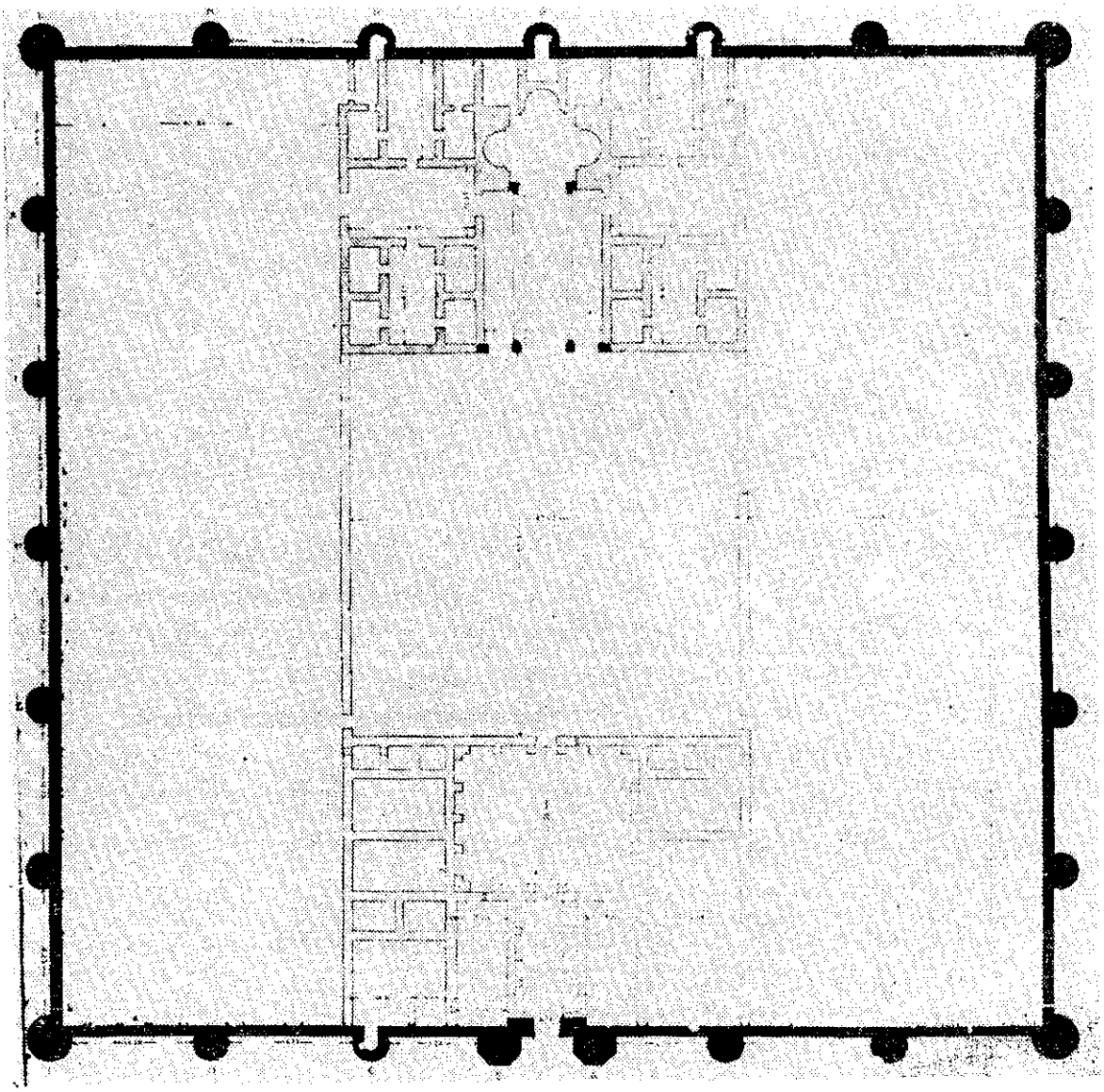

(صورة رقم ٢)

مخطط قصر المشتى الذي يعزى بناؤه للخليفة يزيد الثاني ٧٢٠–٧٢٤ م

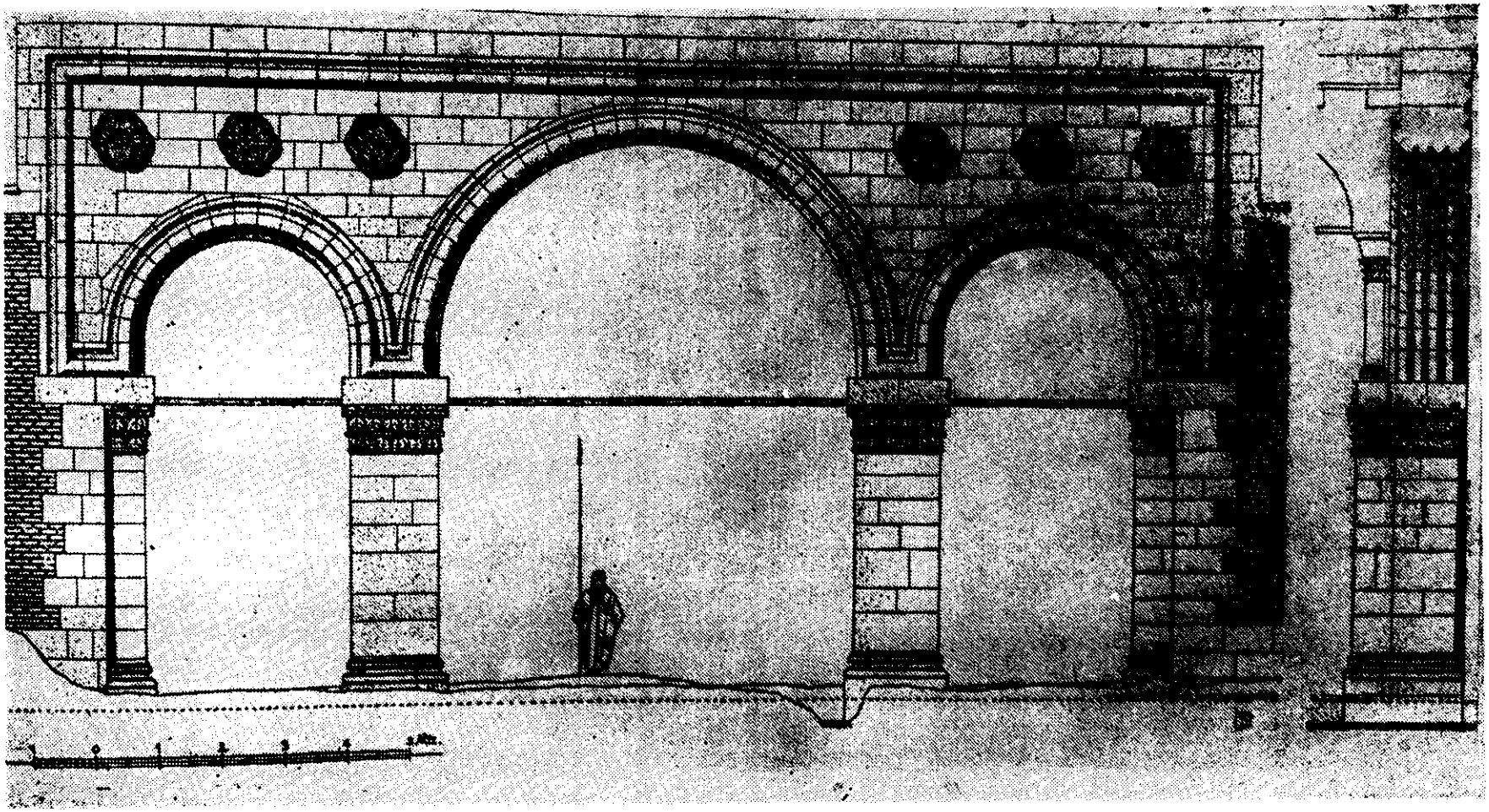

(صورة رقم ٣)

واجهة قاعة الاستقبال في قصر المشتى كما تصورها المهندس والاستاذ كريسول

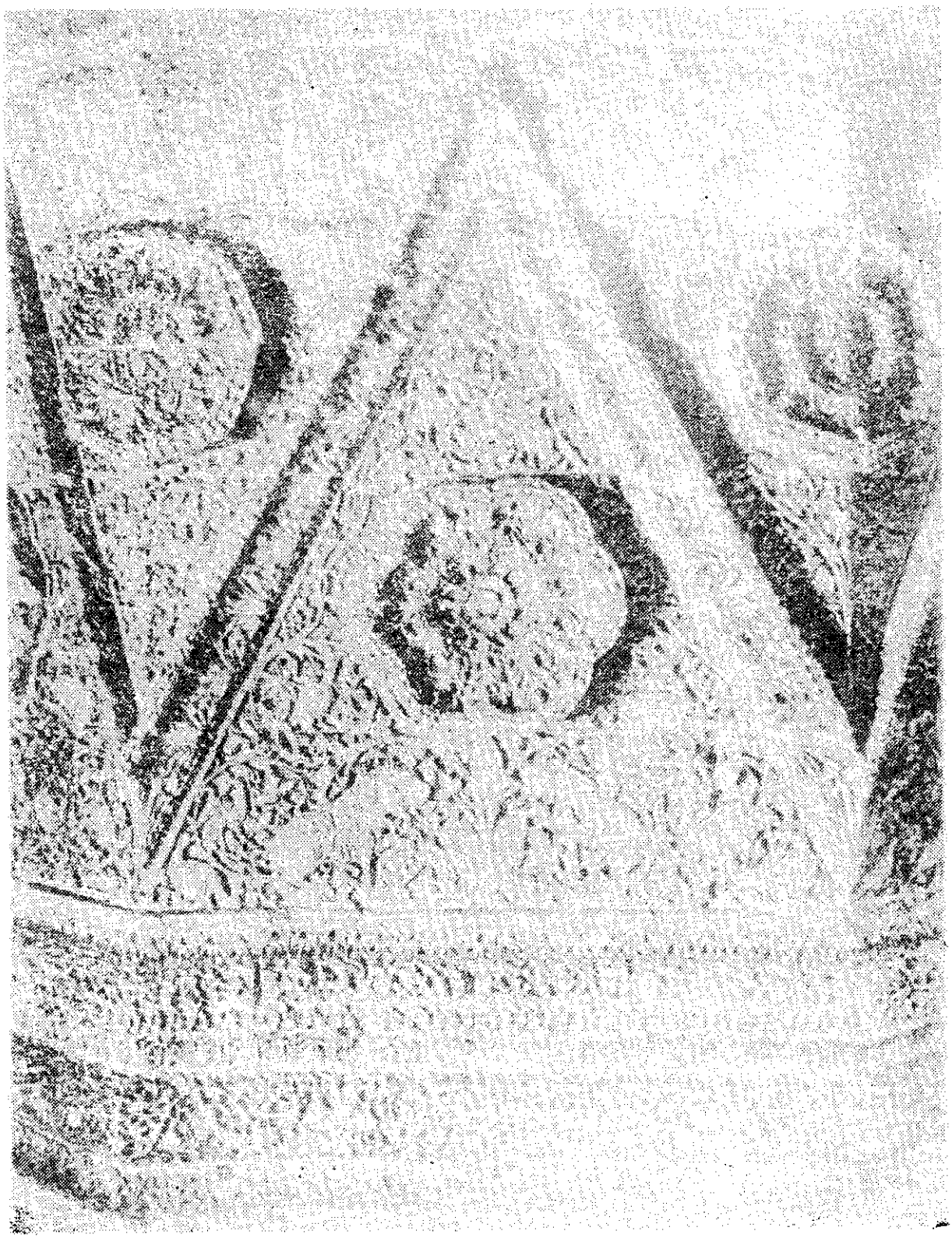

(صورة رقم ٤)

قطعة مزخرفة من الجدار الحجري في قصر المشتى وقد نقلت جميع القطع المماثلة
الى متحف برلين

القصر الأموي في خربة مفجر

هذا هو القصر الثاني الذي قمنا بزيارته و يقع في خربة مفجر بالقرب من (أريحا) في فلسطين . ويعتقد العالم (ديمتري برامكي) المكتشف لهذا القصر في السنوات ١٩٣٦—١٩٤٨ ان الخليفة هشام بن عبدالملك (٧٢٤—٧٤٣ م) هو الذي بناه .

لقد وجدنا هذا القصر العظيم يشغل مساحة كبيرة من الأرض فيها مجموعة من الأبنية منها : القصر والحمام والمسجد وساحة كبيرة طولها ٣٠٠ متر يطل عليها القصر من الجهة الغربية ، وفي وسطها بركة ماء واسعة مثمنة الشكل . لقد كانت جميع أبنية القصر محاطة بحدائق واسعة مسوّرة من الخارج بسور يمتد بمقدار كيلومترين نحو جهة الأردن ، الا ان هذا القصر لم يتم بناؤه ، وقد تصدع بنتيجة الزلزال الذي حدث في سنة ٧٤٦ م قبل ان يتم بناء الطابق الأعلى فيه ، فأهمل وأصبح عرضة للخراب ، ومن المعتقد ان البناء أعيد اصلاحه في زمن صلاح الدين الأيوبي في القرن الثاني عشر .

وتقع قاعة الضيافة في الجهة الشمالية من صحن القصر ، وهناك ايوان فخم يتوسط الجدار الغربي ويقع على محور مدخل القصر ، وأمام هذا الايوان سلّم يؤدي الى غرفة مستطيلة الشكل فرشت أرضها بالفسيفساء أشبه بسجّادة تغطي أرضية الغرفة بكاملها . ويلي هذه الغرفة تحت الارض ديوان للجلوس بشكل نصف دائرة رصفت أرضيته ومقاعده بالفسيفساء أيضاً ، ويمثل هذا شجرة من البرتقال تحمل الثمر ، يحيط بها ثلاثة غزلان هجم على أحدها أسد يفترسه . اما مسجد القصر فيقع في الجانب الجنوبي من القصر ، خلف محرابه بناء مربع ضخم مما يدل على كونه قاعدة المئذنة للمسجد .

(لاحظ مخطط هذا القصر وصور الفسيفساء التي تغطي أرضية الحمّام ، وتعتبر هذه الرسوم من أجمل ما تحدر الينا من هذا الفن (. الصور ٥، ٦، ٧)

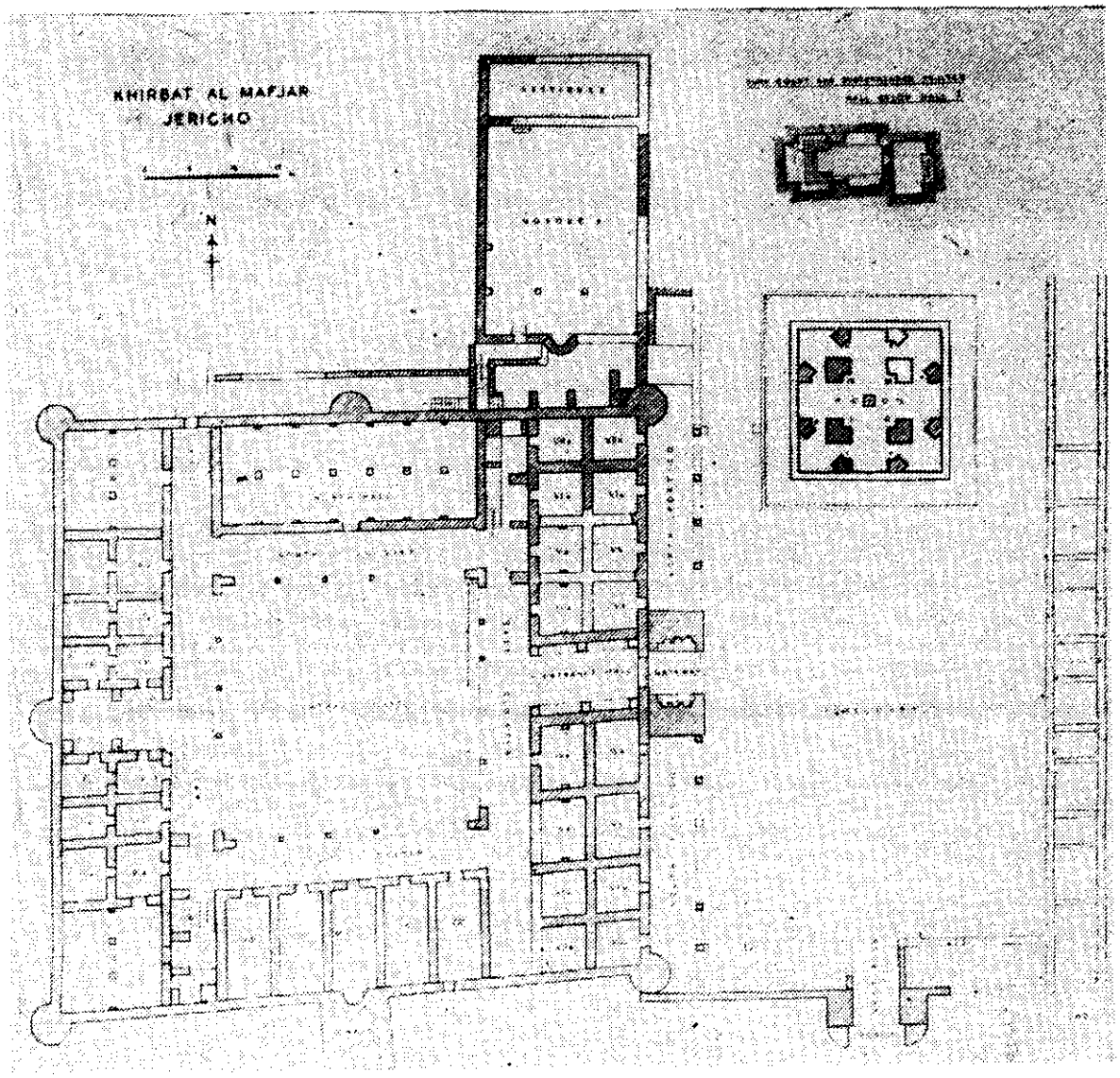

(صورة رقم ٥)

مخطط قصر الخليفة هشام الأموي في خربة مفجر بالقرب من اريحا في فلسطين

(صورة رقم ٦)

شجرة البرتقال والغزلان والأسد رسمت بالفسيفساء في ارضية الحمام في قصر الخليفة هشام في خربة مفجر في اريحا .

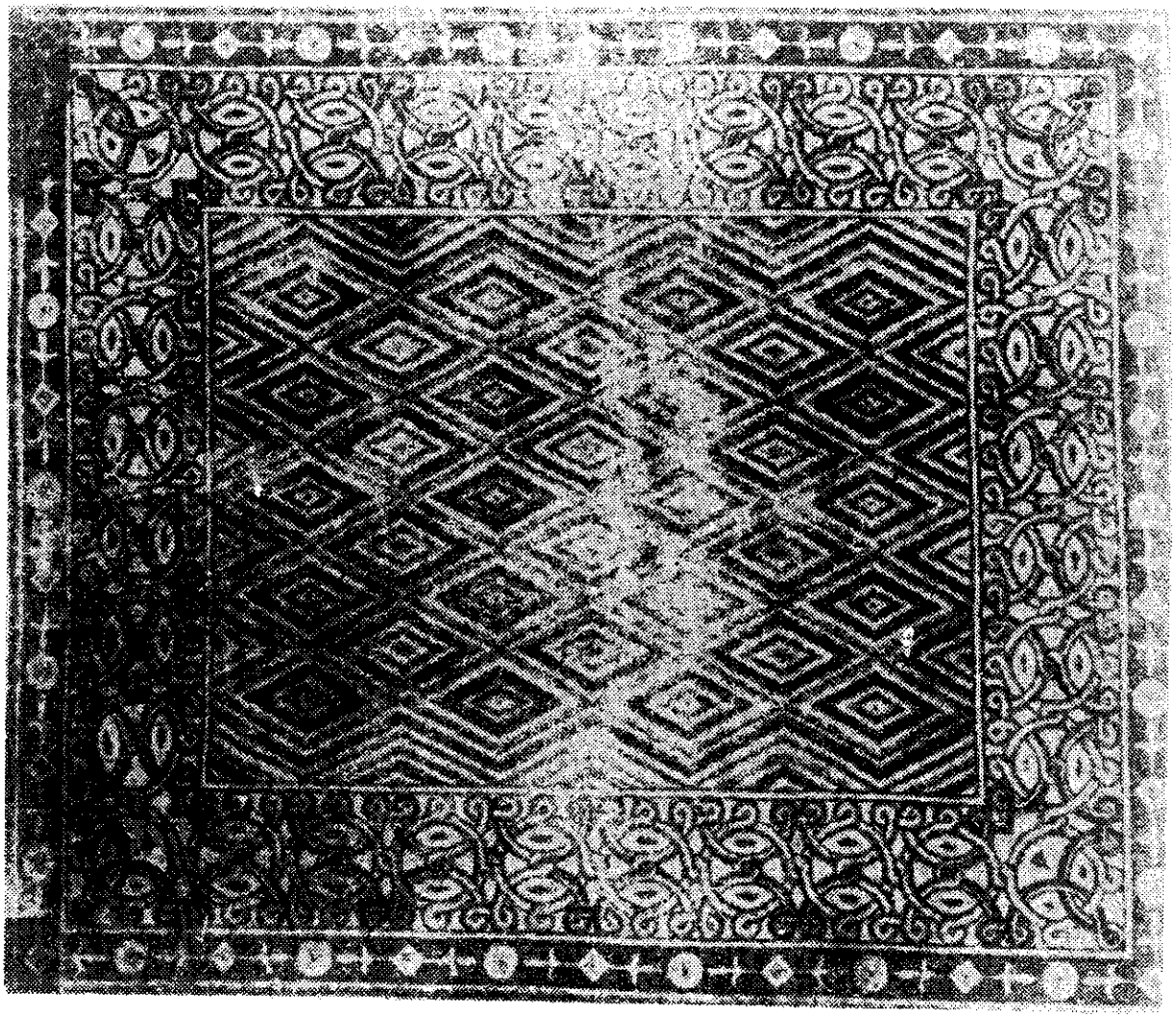

(صورة رقم ٧)

صورة السجادة المرسومة بالفسيفساء في ارضية الغرفة التي كان يرتاح فيها الخليفة عند خروجه من الحمام في قصره في خربة مفجر قرب اريحا

قصير عمره

هذا هو القصر الثالث الذي اتيح لنا مشاهدته ودراسة تفاصيل بنائه وزخرفته . ان هذا القصر هو اشبه بدار استراحة أطلق عليه اسم (قُصير عمره) والظاهر ان هذا الاسم حديث وان اسمه الحقيقي غير معروف وليس في كتب التاريخ ذكر له . اكتشف هذا القصر البعثة العلمية التي كان يترأسها الاستاذ (الويزموسل) ALOIS MUSIL سنة ١٨٩٨ .

يقع هذا القصر في الجانب الشرقي من نهر الاردن، وهو على خط مستقيم شرقي قصر المشتى مسافة ٥٥ كم . ويتكوّن البناء من قسمين رئيسين هما : قاعة الاستقبال والحمّام . فقاعة الاستقبال مستطيلة الشكل ، تغطيها ثلاثة أقبية نصف اسطوانية يفصلها عن بعضها عقدان عريضان ، وفي نهاية القبو الاوسط ، وعلى محور مدخل القصر ، حنية العرش ، وهي مغطاة بقبو اسطواني أقل ارتفاعاً من سقف أقبية القاعة .

ومما يزيد في قيمة هذا البناء التصاوير المرسومة على جدار بهو الاستقبال والحمام نجد على الحنية صورة الخليفة وهو جالس على عرشه ، يحفّ به شخصان ، وفوقه مظلة محمولة على عمودين حلزونيين عليها كتابة كوفية ويقف خلف الخليفة ستة أشخاص أطلق عليهم اسم (أعداء الاسلام) وترتيبهم في صفين متباينين كما يلي :

	٢	٤	٦
١	٣	٥	

وقد قام المجمع العلمي في فينا بدراسة هذه الصورة وشكل الأشخاص الأربعة الأوائل والكتابة المشوهة والظاهر بعض حروفها فوق رؤوسهم العربية منها والاغريقية فتقرر ان الشخص رقم (١) هو القيصر امبراطور البيزنطيين ويرتدي رداء الأمبراطورية وعلى رأسه تاج ، وان (٢) هو روذريق آخر ملوك القوط في اسبانيا

وقد قتله العرب سنة ٧١١م ، وان (٣) هو امبراطور الساسانيين ، ويعتقد العالم (نولدكه) NOLDEKE ان الرسم يرجع الى (يزدجر) الذي أصبح ملكاً وهو ما يزال في عنفوان شبابه ، ويظهر في الصورة شابا شـــعر رأسه كث مجعد و يرتدي عباءة بنفسجية اللون وحذاؤه بنفسجي اللون ايضاً وعلى رأسه تاج الملكية الفارسي . أما (٤) فهو النجاشي ملك الحبشة ويرتدي ملابس فاقعة اللون وحول عنقه وصدره دثار غامق .

ولما كان الشخصان (٥) و (٦) غير واضحين فيعتقد ان (٥) هو امبراطور الصين الذي انهزمت جيوشه امام الجيوش العربية عندما فتحت مرو وبخارى وسمرقند في سنة ٧١١ م وكانت هذه البلاد خاضعة لنفوذ هذا الامبراطور ، اما (٦) فمن المحتمل ان يكون احد ملوك تركستان او الملك (داهر) ملك الهند الذي قتل في سنة ٧١٢ م .

فبالاستناد الى التواريخ السابقة التي تم فيها دحر هؤلاء الملوك من قبل العرب يعتقد العالمان (نولدكه) NOLDEKE و (بيكر) BECKER ان بناء قصير عمره لا يستبعد ان يكون في حوالي سنة ٧١١ م في عهد الخليفة الوليد الاول الذي مات سنة ٧١٥ م .

اما القسم الثاني من هذا البناء فهو الحمام الذي يقع الى يسار قاعة الاستقبال ، ويشتمل على ثلاث غرف رئيسة هي :

١ — الغرفة الباردة (ابوداتريوم) APODYTERIUM ويغطيها قبو نصف اسطواني ، وقد احتفظت هذه الغرفة بأجمل الصور التي تزين جدرانها ، فيها سجف واوراق النباتات المتدلية من مزهريات وأشجار النخيل والعنب عليها عناقيد الثمر وتقف عليها طيور البادية ، كما نجد فيها مشاهد صيد فيها أحد الأسود يثب على حمار وحشي

٢— الغرفة الدافئة (تبيداريوم) TAPIDARIUM وهي مغطاةبقبو متقاطع .

٣— الغرفة الساخنة (كاليداريوم) CALIDARIUM وهي مربعة الشكل تغطيها قبة نصف كروية محمولة على اربعة مثلثات كروية .

لقد تمّ بناء هذا القصر بالحجر الاحمر الجيري ، تغشيه طبقة من الملاط وفرشت أرضه بالرخام ، وتجري في أسفلها مواسير البخار الساخن وعلى بعد ستة امتار من الجدار الشمالي للقصر بئر ومخزن لجمع الماء بجانبها ساحة مستديرة قطرها ٥ر٨٠ امتار يحيط بها سور فيه دعامتان متقابلتان .

ان الصور المرسومة على جدران هذا القصر تعرف باسم (فريسكو) FRESCO وهي بالوان مختلفة ، وتحتوي على رسوم راقصات ونساء شبه عاريات ، ورسوم صيد ، واستحمام ، ورسوم رمزية لآلهة الشعر والفلسفة والتاريخ والحب عند الاغريق ، كما تشتمل على رسوم تمثل مراحل العمر : الفتوة والرجولة والكهولة ، كلها مرسومة داخل مناطق مربعة ومعينية(١) .

ان أهم الرسوم من الوجهة العلمية هي صورة قبة السماء ودائرة الفلك التي رسمت فيها النجوم والكواكب في ابراجها المختلفة . وبالنظر لأهمية هذا الرسم نحاول ان نترجم باختصار الى العربية ما جاء عنها في المجلد الأول من كتاب (بدء فن العمارة الاسلامية) EARLY MUSLIM ARCHITECTURE للاستاذ (كريسول) CRESWELL نقلا عن ترجمة انكليزية قامت بها السيدة (روث ويند) RUTHWIND عن الالمانية . (الصور ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١)

---

(١) عن التصوير والرسوم الموجودة في قصير عمره يقول الدكتور فليب حتي في كتابه تاريخ العرب ج٢ ص ٣٤٢ مايلي : « ذهب معظم الاسلام الى ان رسم الانسان والحيوان من خصائص الله ، وان من تعدى على حق الله (تعالى) يعد آثما . وما هذه النظرة العدائية الى الفن التصويري الا نتيجة للتمسك بفكرة التوحيد التي نص عليها القرآن (الكريم) ، ولما حرمه القرآن ايضاً من الشرك وعبادة الأوثان . وجاء الحديث يثبت ما في القرآن في هذا الصدد ، فقد روي عن النبي (ص) انه قال : ان أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون (البخاري ج٧ص٦١) والمصورون في المعنى الواسع يشمل النحاتين ايضاً لذلك لم نجد في المساجد أدنى مثال للآدميين بل تكاد لاتوجد رسوما او صورا بشرية الا على جدران القصور وفي بعض الكتب .

ولقد استمد الفن الاسلامي جل المواضيع الزخرفية او كلها من مملكة النبات او من الأشكال الهندسية . ومما يظهر مبلغ النجاح الذي بلغه الفن في هذا الميدان ان لفظة (ارابسك) ARABESQUE تطلق عليه في اكثر اللغات الاوربية ، ولكن العرب أنفسهم لم يكونوا قد الفوا بعد او تذوقوا روح هذا الفن في شكلية النحت والتصوير ، وتدل على ذلك آثارهم في الجزيرة وأوصاف معابدهم في كتب الأدب . وما نسميه بالفن الاسلامي هو فن انتخابي ، اي ينتخب الموافق مما انتجه الاخرون ، في جوهره وفي مواضيعه واسلوب اخراجه ، فهو بالأكثر من نتاج القرائح الفنية عند ابناء الشعوب المغلوبة ، الا ان هذا النتاج نما تحت رعاية المسلمين وكيف تبعا لحاجاتهم الدينية ، واقدم الأمثلة على فن الرسم في الاسلام هي تلك التصاوير الجدارية التي نجدها في قصير عمره النامة عن صناعة مصورين نصارى » .

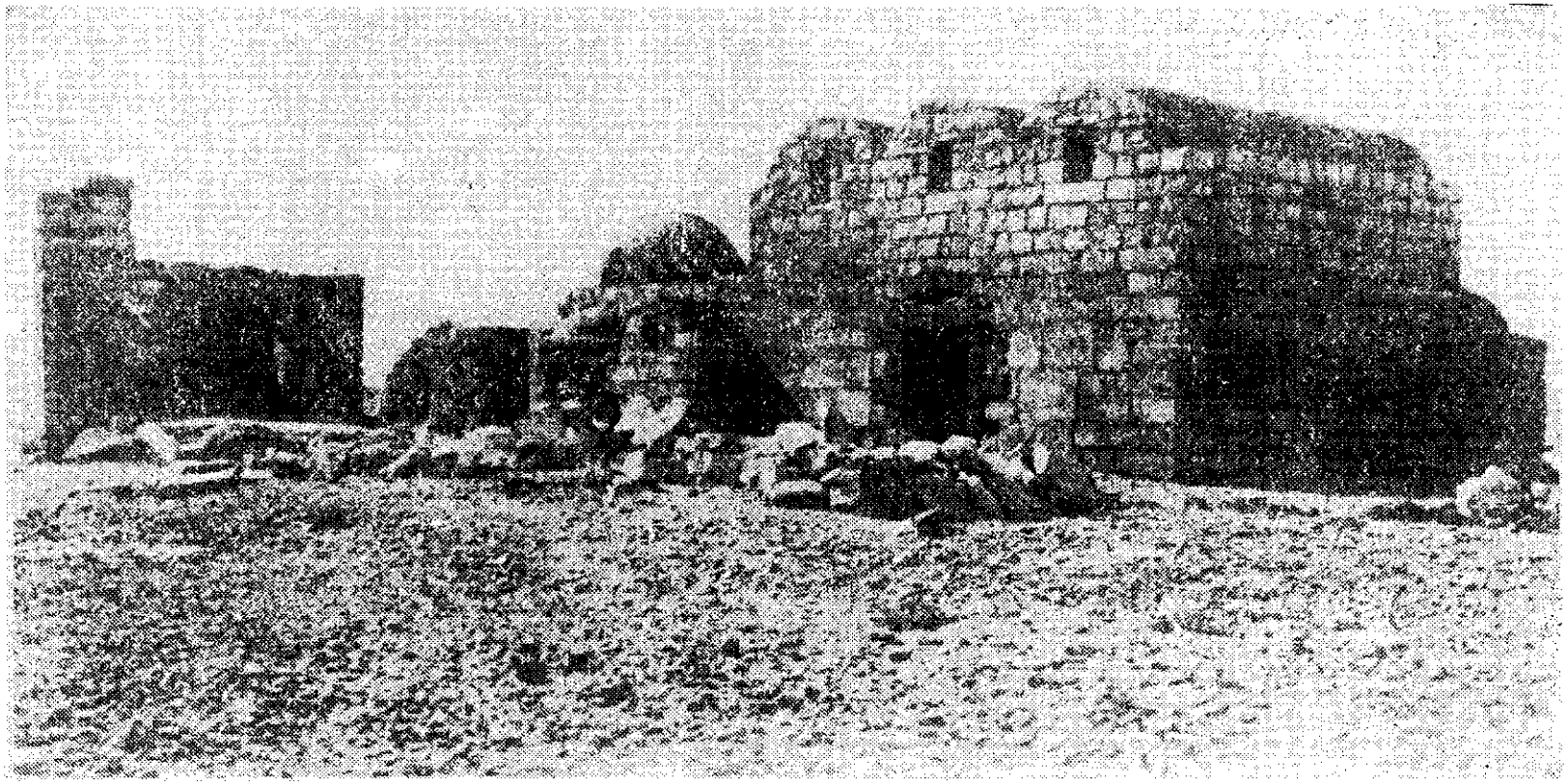

(صورة رقم ٨)

الواجهة الشمالية الغربية لقصير عمره لاحظ مدخل القصر في وسط قاعة الاستقبال والى يسارها حمام القصر ويعتقد ان هذا البناء يرجع الىعهد الخليفة الوليد الاول (٧٠٥–٧١٥م)

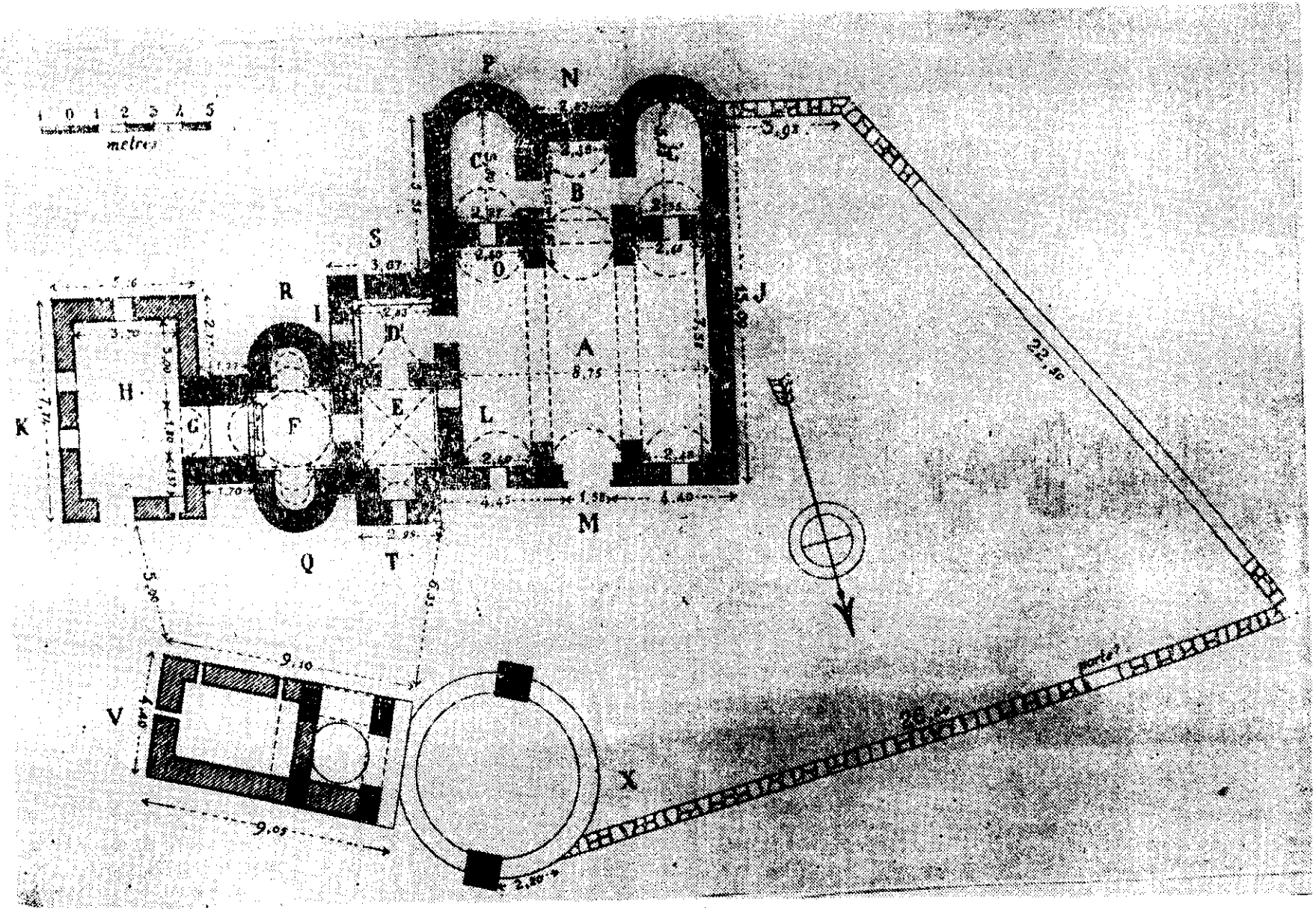

(صورة رقم ٩)

مخطط قصير عمره (A) قاعة الاستقبال (B) قاعة العرش (D) الغرفة الباردة في الحمام (E) الغرفة الدافئة (F) الغرفةالساخنة (V) البئر والمخزن(X) الساحة المدورة .

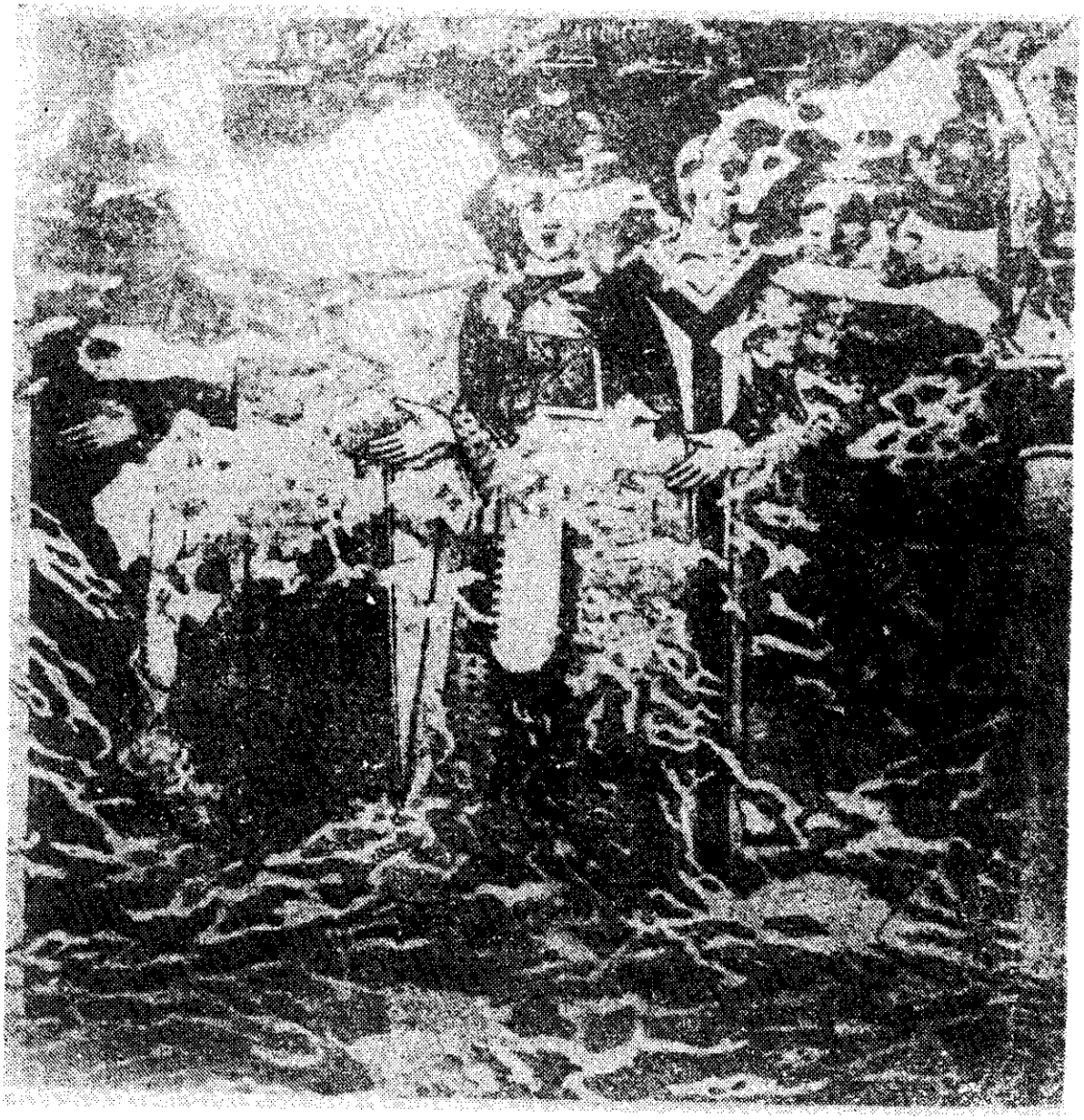

(صورة رقم ١٠)

صورة (اعداء الاسلام) وهم قيصر امبراطور البيزنطيين ، روذريق ملك اسبانيا ،
يزدجرد امبراطور الساسانيين ، النجاشي ملك الحبشة
لاحظ الكتابة بالخط الكوفي والاغريقي فوق رؤوسهم

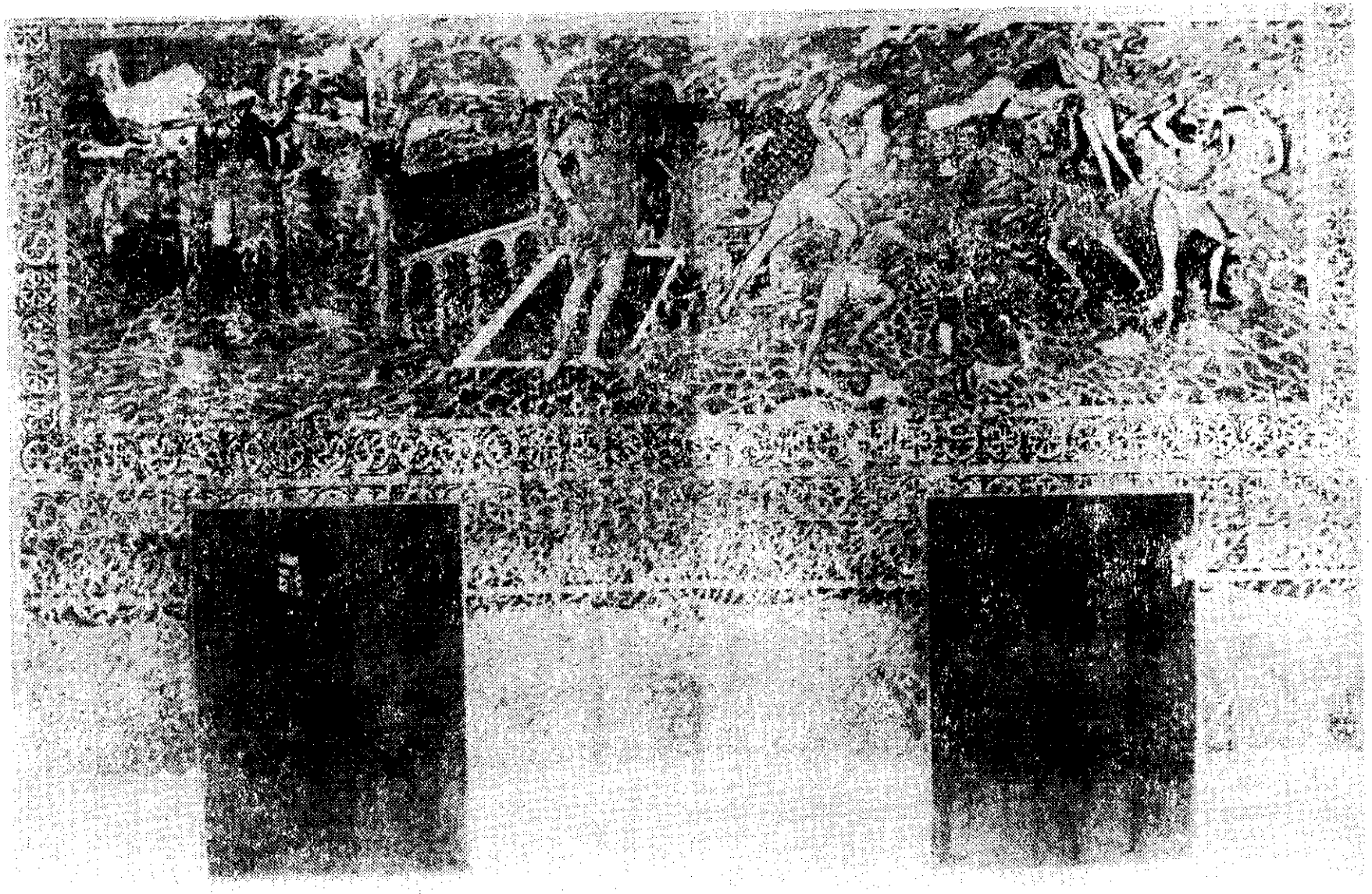

(صورة رقم ١١) الصور الجميلة (فريسكو) التي تزين جدران قصير عمره

دراسة دائرة البروج في قصير عمره ZODIAC (١)

للعالم الفلكي (فريتز ساكل) FRITZ SAXL

قام العالم (الويزموزل) بتصوير دائرة البروج في قصير عمره ولعدم وضوح بعض أجزاء هذا الرسم أعيد رسم هذه الدائرة واكمل ما فيها من نواقص بالاستناد الى مصادر أخرى قديمة معروفة عثر عليها مرسومة على جدران بعض الأبنية في الشرق

---

(١) دائرة البروج او منطقة البروج هي منطقة تصورية في السماء يقع فيها مسار الشمس والقمر والكواكب وهي محدودة بدائرتين متساويتي البعد عن سمت الرأس ، وتفترقان بزاوية مقدارها ١٨ درجة ، وتقسم الى اثنى عشر برجا ، في كل برج مجموعة من النجوم الثابتة ، واطلق على كل برج احد الاسماء التالية وجعلت له صورة خاصة به :

١ – الكبش – الحمل ARIES هو البرج الأول من منطقة البروج ، صور على هيئة خروف ملتف الى خلفه ووجهه الى ظهره ، وله قرنان كالكبش .

٢ – الثور TAURUS انتبه الناس الى كواكبه من قديم الزمان ، فالثريا مذكورة في التوراة والصورة على هيئة ثور مؤخره نحو المغرب ومقدمه نحو المشرق ، وليس له كفل ولا رجلان ، وهو ملتف الى جنبه وقرناه الى ناحية المشرق .

٣ – الجوزاء – التوأمان – التيماء GEMINI صورها المصريون بصورة جديين ، وجعلها اليونان بصورة ولدين توأمين ، ورسمها العرب احيانا بصورة طاووس ، والعرب يطلقون لفظة الجوزاء على التوأمين وعلى (الجبار) معا ، والأفضل ان تخصص للتوأمين .

٤ – السرطان CANCER في هذا البرج نحو ٨٣ نجما ، شرقها (الاسد) وغربها (التوأمان) ، وفي وسطها عدة نجوم مجتمعة سماها بطليموس (المعلف) وسماها العرب (النثرة) .

٥ – الاسد LEO هو البرج الخامس ، تعرف صورته من ستة نجوم كالمنجل .

٦ – العذراء – السنبلة VIRGO صوره اليونان بصورة عذراء ، رأسها على جنوب (الصرفة) وهو النير الذي على ذنب الأسد ، وقدمها قدام (الربانيتين) اللتين على كفتي (الميزان) .

٧ – الميزان LIBRA لعله سمي كذلك لان الشمس تدخل فيه الاعتدال الخريفي وموضعه شرق العذراء .

٨ – العقرب SCORPIO صور بشكل قريب من هيئة عقرب .

٩ – الرامي – القوس SAGITTARIUS يعرف بواسطة خمسة نجوم على هيئة قصعة منقلبة في جانب (المجرة الشرقي) تسميها العامة قصعة اللبن .

١٠ – الجدي CAPRICORNUS صور بشكل جدي او تيس له ذنب سمكة .

١١ – الدلو – الساقي – ساكب الماء AQUARIUS صور على هيئة انسان قائم باسط يديه ، وآخذ باحداهما كوزا مقلوبا ليسكب منه الماء .

١٢ – الحوت – السمكتان – النونان PISCES صور بشكل سمكتين مربوطتين بذنبيهما ، والحوتان حوت شمالي وسمي (المقدم) وحوت جنوبي .

(عن كتاب القاموس الفلكي للاستاذ منصور حنا جرداق)

والغرب ، من ذلك ما وجد في مصر في سقف مقبرة (ستي الأول) SETI 1 وما ظهر على سطح كرة السماء في (بنديرة) BENDERAH التي يرجع عهدها الى العهد الروماني ، وكذلك الى ماعثر عليه في مقبرة (اثريبس) ATHRIBIS التي تعود الى نفس العصر .

ان صور البروج عند المصريين كانت مرتبة بشكل صفوف مستقيمة متتابعةعلى سطح مستو ، اما عند الرومان فهي دائرية بارزة عن السطح المستوي . ومما لاشك فيه ان رسم قبة السماء على سطح منحن في داخل القبة وضبط مواقع الكواكب عايه أصعب من رسمها على سطح مستو ، ومن هنا جاءت أهمية الرسم الذي نراه في الغرفة الساخنة في حمام قصير عمره . (الصورة رقم ١٢)

(صورة رقم ١٢)

صورة قبة السماء المشوهة بسبب الدمار الذي اصابها في حمام قصير عمره

لقد لوحظ ان صور البروج في قبة قصير عمره تستند على دراسة فلكية كانت معروفة عند الاغريق ، ولكن العلماء لم يعثروا على صور مماثلة لها في الغرب ولا في الشرق الأدنى لحد الآن . فمن العصر البيزنطي لدينا صورة ممتازة رسمها بطليموس ويرجع عهدها للنصف الثاني من القرن التاسع ولكنها تحتوي على عدد محدود من صور الكواكب ، وما عدا ذلك فان جميع ما هو محفوظ في الغرب يرجع الى عصور متأخرة وهذه غير مضبوطة علمياً .

ان صورة قبة السماء في حمام قصير عمره تشهد على مقدار الدقة والضبط الذي تقيد به الرسّام المكلف بهذا العمل خدمة لأمير عربي أراد التفاخر بهذا البناء وزخرفته . فلهذا الرسم أهمية علمية خاصة وذلك لاكتشافة في المنطقة الفاصلة بين البلاد الواقعة على حوض البحر المتوسط وبلاد الشرق الأدنى ، تلك المنطقة التي جرى فيها تبادل الثقافات بين الشرق والغرب ، فكان حصيلة ذلك ظهور الثقافة الأسلامية السامية من جهة ، وتبادل هذه الثقافة مع جنوب ايطاليا واسبانيا من جهة أخرى ، وليس بالأمر الخافي ما كان لهذا التبادل من تأثير على الثقافة العربية في العصور الوسطى .

مقارنة بين قبة السماء في قصير عمره وبين الرسوم المماثلة في الغرب

نحاول الآن ان نبين وجه الشبه والأختلاف بين صور البروج والكواكب التي نشاهدها في قبة قصير عمره وتلك التي كانت في الغرب في العصور الوسطى . فمما يلفت النظر ان الترتيب الهندسي المعقد الذي رسمت به الصور في قصير عمره كان مبنياً على قواعد علمية صحيحة ، حيث نجد في منتصف القبة القطب السماوي CELESTIAL POLE ثم بدأ الرسّام في تقسيم القبة الى اثني عشر قسماً متساوياً بواسطة أنصاف أقطار كروية ، بين كل نصفي قطر زاوية كروية مقدارها ٣٠ درجة ، ولكن هذا التقسيم لا يبدأ من القطب السماوي بل من قطب فلك البروج ECLIPTIC لقد استنبط الرسّام هذه الطريقة المنسقة بغية ضبط مواقع الأجرام السماوية ، وليس من السهل عمل ذلك بواسطة المسطرة والمربع . وقد يبدو لنا لأول وهلة ان الرسّام الذي قام برسم هذه الصورة داخل قبة قصير عمره ليست لديه معرفة كافية بعلم الفلك ، وانه قام بنقل ذلك من صور عثر عليها في مصادر أجنبية.

فالناظر الى قبة السماء في قصير عمره يراها لا كما تظهر في السماء بل غيرت مواضعها من اليمين الى اليسار ، وكذلك رست بعض الكواكب التي لا وجود لها في النصف الشمالي لقبة السماء بل هي في النصف الجنوبي من هذه القبة . ولما كان رسّام قصير عمره قد جعل القطب الشمالي في سمت الرأس ZENITH من القبة فليس بالامكان بعد هذا الا ظهور الكواكب الواقعة في النصف الشمالي من قبة السماء .

ان قاعدة قبة قصير عمره لا تمثل الأفق ، ولهذا فالكواكب الظاهرة في الرسم ليست تلك التي ينتظر ان نراها هنا من اي مكان على الأرض فوق الأفق . ان رسم الكواكب في صفوف داخل دوائر متحدة المركز ، وجعل القطب الشمالي في هذا المركز كان متبعا في العصور الكلاسيكية والوسطى ، وهذا ما نجده في المخطوطات الغربية . ان الشيء الفريد في قبة قصير عمره هو محاولة الرسّام تصوير قبة السماء على السطح الداخلي للقبة كما هو مرسوم على وجه مسطّح ، ولكن الرسّام ما لبث ان وقع في مشكلة تثبيت مواقع الكواكب على سطح مقعّر حيث تأخذ المساحة في الصغر كلما قرب من المركز ويصبح من غير الممكن رسم جميع الكواكب فيها .

فعندما رسم مجموعة كواكب الجبّار PERSEUS GROUP او حامل رأس الغول لم يجد مكاناً كافياً لرسم كوكبة ذات الكرسي CASSIOPEIA او الثريا — العرش — المنبر . كما انه وضع كوكبة الناقة ANDROMEDA او المسلسلة في وضع مغلوط فجاءت فوق رأس كوكبة الملتهب — سيفس CEPHEUS بدلا من جعلها فوق رأس الأم .

واذا ما قارنا صور الكواكب في قبة قصير عمره بمثيلاتها في رسوم العصر الاغريقي الروماني استغربنا من مقدار التشابه بين صور الكواكب في الاثنين ، فشكل الخطّاف الذي تحمله كوكبة الجبار ORION (صورة ٣٣٩) وصورة كوكب التوأمين العاريين NAKED TWINS (صورة ٣٣٨) الواقفين بنصف استدارة الى الخلف ، وكذلك كوكب كيتوس KETOS (صورة ٣٤٠) وكوكب الدلفين DELPHINUS (صورة ٣٤١) كلها متشابهة . (لوحة رقم ١)

Fig. 338. The Twins

Fig. 339. Orion

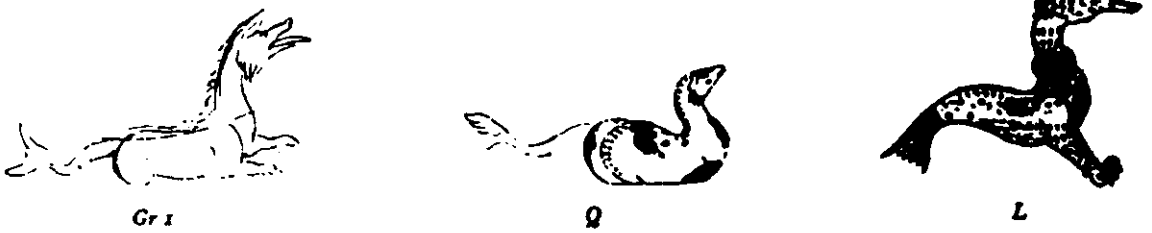

Fig. 340. Ketos

Fig. 341 The Dolphin

(لوحة رقم ١)

لوحة للمقارنة بين صور الكواكب في قصير عمره والصور الكلاسيكية والقرون الوسطى

(صورة ٣٣٨) التوأمان THE TWINS

(صورة ٣٣٩) الجبار ORION

(صورة ٣٤٠) كيتوس KETOS

(صورة ٣٤١) الدلفين DOLPHIN

ملاحظة : يرمز للكواكب في قصير عمره بحرف (Q)

اما صورة كوكب هرقل HERCULES الجاثي – الراقص (صورة ٣٤٢) فهي أقرب لصورة هذا الكوكب في اطلس فارنس FARNESE ATLAS ولكن رسام قصير عمره أخطأ في رسم كوكب هرقل خلف كوكب العوّاء BOOTES وكوكب الحوية OPHIUCHUS وليس بينهما . ان مثل هذا الوضع المغلوط نجده في قبة السماء الأغريقية التي ترجع الى القرن الخامس عشر وهذه الأغلاط نجدها أيضاً في مخطوطة بطليموس التي ترجع الى القرن التاسع . فاذا ما قارنا وضع الكواكب في قبة قصير عمره بوضعها في الصور المستنسخ منها نجد الرسّام قد قام بعمله بمنتهى الدقة ، وان أي خطأ في رسمه يكون مرجعه الى أصل اغريقي في العصور الوسطى .

ان صورة الورقة (صورة ٣٤٣) التي تظهر فوق ذنب برج عرف الأسد LEO لانجد لها مثيلا في كرة فارنس FARNESE GLOBE ولا في المخطوطات االلاتينية للعصور الوسطى او تلك التي رسمها العرب ، ففي مخطوطة بطليموس تظهر الورقة كجزء من شعر (برينس) BERENICE ويصفها بطليموس بأنها أشبه بورقة آيفي IVY فوق ذنب الأسد .

واذا ما استمرينا في تطبيق هذه المقارنة نجد هناك مزيداًمن التشابه بين الكواكب التي نشاهدها في قبة قصير عمره وتلك التي في المخطوطات الاغريقية . ففي هذه المخطوطات نجد مثلا كوكب الكلب الأصغر CANIS MINOR رافعاً ذنبه بالقرب من التوأمين (صورة ٣٣٨) وهو بمثل هذه الحال في قصير عمره ومثل هذا التشابه ما نجده في كوكب الأرنب LEPUS وكوكب الجبّار ORION . كما نشاهد كوكب الحية SERPENTARIUS (صورة ٣٤٤) تقف على كلتي رجليها فوق كوكب العقرب SCORPOI ويتكرر هذا التشابه في كوكب العقاب AQUILA (صورة ٣٤٥)، فكلتا الصورتين ترينا رسما جانبيا للعقاب (بروفيل) . ويزدادهذا التشابه بكامل تفاصيله في كوكبة الدجاجة CYGNUS (صورة ٣٤٦) واكثر الكواكب تشابها هو برج الدلو–الساقي AQUARIUS (صورة ٣٤٧)، الا ان الجرة في قصير عمره مسكت باليد اليسرى بصورة مقلوبة بينما في المخطوطات الاغريقية معتدلة ومسكت باليد اليمنى . (لوحة رقم٢).

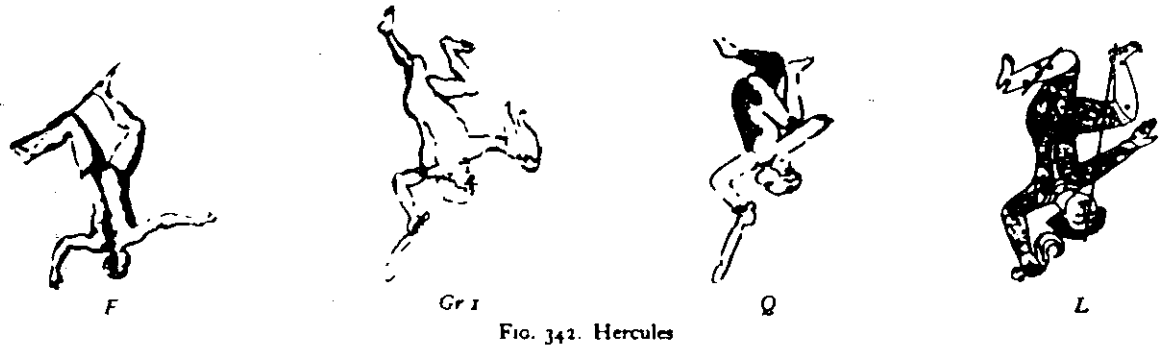

Fig. 342. Hercules

Fig. 343. Part of Coma Berenices

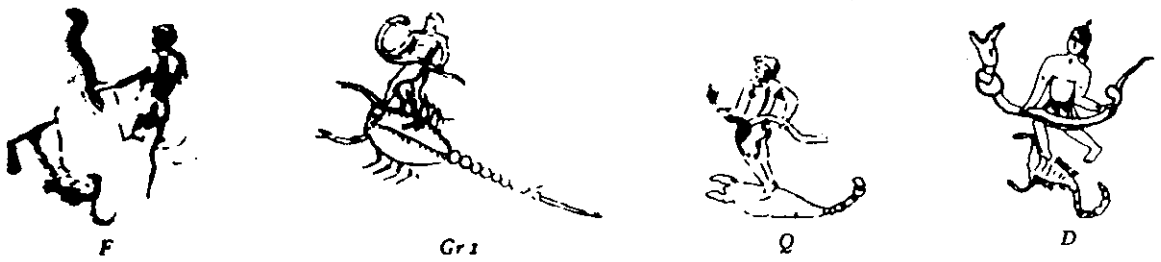

Fig. 344. Serpentarius

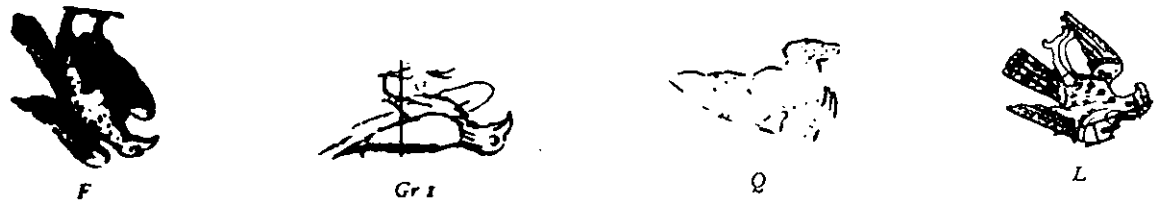

Fig. 345 Aquila

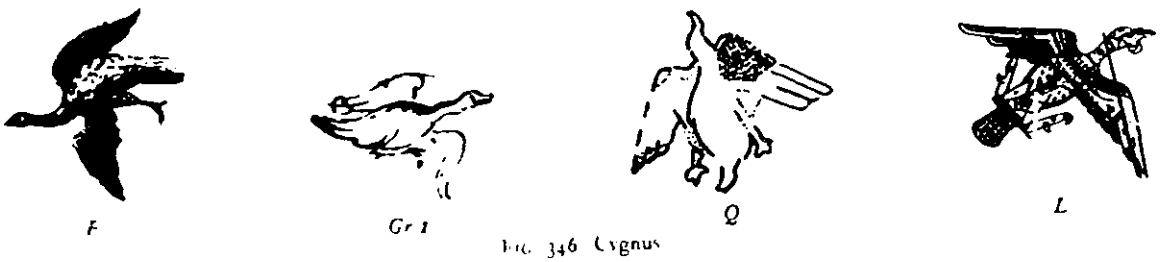

Fig. 346 Cygnus

(لوحة رقم ٢)

لوحة للمقارنة بين صور الكواكب في قصير عمره رمزها (Q) والصور الكلاسيكية والقرون الوسطى لهذه الكواكب :

(صورة ٣٤٢) هرقل HERCULES صورة(٣٤٣) الورقة COMA BERENICES

(صورة ٣٤٤) الحية SERPENTARIUS (صورة ٣٤٥) العقاب AQUILA

(صورة ٣٤٦) الدجاجة CYGNUS

هذا بعض ما نجده من تشابه بين قبة السماء في قصير عمره وما هو موجـــود في المصادر الاغريقية ، اما بالنسبة الى مصادر القرون الوسطى فنجد هناك ثلاث صور تختلف كل الاختلاف عن تلك التي في المصادر الاغريقية ولكنها تتفق مع المصادر الشرقية، هذه الكواكب هي : كوكب الملتهب (قيفاوس) CEPHEUS (صورة ٣٤٨) وكوكب العوّاء BOOTES (صورة ٣٤٩) و كوكب الجبّار ORION (صورة٣٣٩) ففي قصير عمره نجد الملتهب في وضع ركوع رافعاً ذراعيه، بينما في (كرة فارنس)وفي المخطوطات الاغريقية نجده واقفاً ومادأ ذراعيه .

اما العواء فنجده رافعاً احدى رجليه بينما في المخطوطة الاغريقية واقفاً على رجليه الاثنتين ، والجوزاء نجدها في المخطوطة الاغريقية واقفة او راكعة بينما في قصير عمره تثني احدى رجليها ، ويقف كوكب عرش الجبّار ــ الأرنب LEPUS تحت رجليها .

لاشك ان هذا التشابه بين صو ر بعض الكواكب لم يكن عفوياً ، فالصور في قصير عمره جاءت لتربط بين الأسلوب الكلاسيكي واسلوب القرون الوسطى في الشرق ، والأهم من كل ذلك ما نشاهده في كوكب الرامي SAGITTARIUS (صورة ٣٥٠) حيث يظهر الرامي ملتفتاً الى عكس جهة سيره خلافاً لوضعهفي الصورة الاغريقية وفي (كرة درسدن) . (لوحة رقم ٣)

Fig. 347. Aquarius

Fig. 348. Cepheus

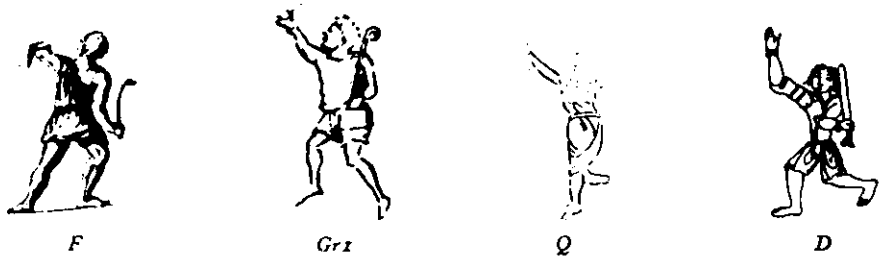

Fig. 349. Bootes

Fig. 350. Sagittarius

(لوحة رقم ٣)

لوحة للمقارنة بين صور الكواكب في قصير عمره رمزها (Q) والصور الكلاسيكية والقرون الوسطى لهذه الكواكب :

(صورة ٤٣٧) الدلو AQUARIUS (صورة ٣٤٨) قيفاوس CEPHEUS

(صورة ٣٤٩) العواء BOOETS (الرامي (صورة ٣٥٠ SAGITTARIUS

بعد هذه المقارنات المتعددة لصور الكواكب يمكن القول ان قبة السماء في قصير عمره كانت خير مرشد للمشاهدين في العصور الوسطى وان كان فيها الشيء الكثير من عدم الدقة العلمية ، فسير الكواكب في قصير عمر نجده معاكساً لاتجاه عقرب الساعة في حين سيرها الحقيقي هو في نفس هذا الأتجاه .

ان التشابه بين شكل البروج والكواكب في قصير عمره وشكلها في المخطوطات الاغريقية لا يمكن اتخاذه دليلا على قيام رسّام قصير عمره في استنساخ هذه الاشكال من تلك المخطوطات ، بل على أغلب الاحتمال انها منقولة عن رسوم ترجع الى أدوار متأخرة قام العرب بترتيب الكواكب فيها بهذه الصورة . ويلاحظ أيضا ان الرسّام تصرف بحرية في الرسم الذي نقل عنه رسمه ، ولكن لا يمكن اعتبار استنساخه هذا دون فهم بل على العكس نجد معلوماته الفلكية وقابليته للاستنساخ كانت صحيحة .

الى هنا نقف في مقارنتنا بين قبة السماء في قصير عمره وبين ما يماثلها في المصادر الفلكية الغربية المعروفة في القرون الوسطى . ان الباحثين الفلكيين المتأخرين قاموا بنقل مواقع الكواكب بنفس الدقة ووقعوا بنفس الأغلاط التي وقع فيها رسّام قصير عمره وذلك لعدم اجراء ارصاد حقيقي لقبة السماء بأنفسهم ، وان الفرق بين الشرق والغرب في هذا المضمار هو قيام الجماعة اللاتينية في العصور الوسطى بنقل ما جاء في المصادر الرومانية المنقولة عن المصادر الاغريقية ، فظهرت كتبهم الفلكية نصفها (ميثولوجية) اي مجموعة اساطير ، ونصفها الاخر فلكية مستندة على حقائق علمية ، اما في الشرق فكانت منقولة مباشرة من المصادر الاغريقية كما تدل على ذلك قبة السماء في قصير عمره .

ان رسّام قصير عمره وان كان استنساخه مبني على معرفة ضئيلة في علم الفلك الا انه عاش في منطقة كان فيها منذ عقد من الزمن العالم (سيبوخت) SEBOKHT الذي وضع كتابا في الفلك اعتمد في تدوينه على المصادر الاغريقية . ومن المهم ان نعلم ان بعد مضي خمسين عاماً على رسم قبة السماء في قصير عمره ظهر نشاط كبير عند العرب لدراسة علم الفلك ، ولما كان الرسم في قصير عمره هو اغريقي

اغريقي الروح بشكل كلاسيكي متأخر فالعلوم والفنون في الشرق في العصور الوسطى كانت مبنية ومستقاة من نفس المصدر ، وهذا ما يجعلنا ندرك بوضوح كيف ان قبة السماء في قصير عمره يمكن اعتبارها حلقة وصل بين العصور الوسطى والعصور الاسلامية .

اهمية دائرة البروج في قصير عمره من الواجهة الفلكية

يقول العالم الفلكي (آرثر بير) ARTHUR BEER ان المهمة الملقاة على عاتق العالم الفلكي الذي يعهد اليه دراسة قبة السماء في قصير عمره يمكن تلخيصها بما يلي :

١ــ اكتشاف الاغلاط في مواقع البروج والكواكب في هذا الرسم .

٢ــ توضيح طريقة رسم الأقواس والدوائر في هذه القبة والبحث عن كيفية استخدامها .

٣ــ التوصل الى معرفة التاريخ والعصر الذي تم فيه رسم هذه القبة ، والاستعانة بمواقع الكواكب لمعرفة ذلك الزمن .

لقد وجد هذا العالم ان الصور الشمسية التي قام بأخذها الاستاذ (كريسول) لقبة السماء في قصير عمره لم تلتقط من موقع متوسط تماماً داخل القبة ، ولهذا ظهر في الصورة الشيء الكثير من الانحراف والتشويه لحجم مختلف البروج وفي طريقة رسم الدوائر ، وقد امكن التغلب على هذه المشكلة بأخذ صورة لهذه القبة بطريقة(ايروطوبوغرافي) AEROTOPOGRAPH وعلى أساسها رسم الصورة رقم ١٣ وبذلك أمكن تعديل وضع الصورة التي صورها كريسول .

(صورة رقم ١٣)

اعادة رسم الاقسام الظاهرة من الكواكب في قبة قصير عمره

اعادة رسم دائرة البروج وتعيين مواقع النجوم

للتوصل الى نقد حقيقي وشامل لقبة السماء في قصير عمره حاول العالم (آرثر بير) ان يهيئ رسماً واقعياً يمثل تلك القبة كما لو ظهرت لشخص واقف في وذلك المكان ونظر اليها في سنة ٧٠٠م ومن الضروري ان يكون الرسم الجديد بنفس المسقط الذي رسمت به الكواكب في قصير عمره .

ومما يلاحظ ان الرسّام في قصير عمره لم يتقيد بشكل قبة السماء كما كانت في وقته بل استعان في رسم هذه الصورة برسم لهذه القبة مأخوذ من الجهة الشمالية ، وقد ضمّن رسمه هذا القسم الجنوبي من قبة السماء حتى وصل الى زاوية الميل القريبة من (— ٦٠) درجة ، وعلى وجه الضبط (—٥٨ر٢) درجة ، بينما في الحقيقة لم يتجاوز في رسمه (— ٤٠) درجة . فلو قام برسم قبة السماء على حقيقتها داخل قبة قصير عمره لكانت النسب اكثر انحرافاً وتشويها عما هي عليه ، فظهور قطب السماء في وسط الرسم يحدد وضع الكواكب الواقعة فوق خط الاستواء وليس سواها ، ولهذا فلا فائدة من مقارنة الصورة الشمسية للقبة مع الرسم الجديد بل نجد انفسنا بحاجة لخارطة تكون فيها قبة السماء بالوضع الطبيعي وفيها الدوائر والمعلومات التي تساعد نا على : —

١— تعيين الاحداثي الاستوائي الحقيقي للكواكب .

٢— تعيين الاحداثي لدائرة البروج .

٣— تعيين القسم الظاهر من قبة السماء فوق أفق قصير عمره مرسوماً بصورة تمكننا من معرفة مختلف الساعات والأيام في تلك السنة .

٤— تعيين صورة البروج بالشكل المتعارف عليه وقت بناء قصير عمره .

وللوصول الى ذلك قام العالم الفلكي (آرثر بير) بعمل مساقط للنجوم المرسومة في قبة قصير عمره وذلك باستخدام معادلات استخرجها بواسطة المثلثات الكروية المعقدة ، (لاحظ ذلك في الملحق المرفق بهذا المقال والذي فضلنا ابقائه باللغة الانكليزية لتعذر وجود رموز مطبعية تماثل ما هو موجود في الاشكال والمعادلات (الملحق) .

Although the method of projection to be chosen was indifferent for the purposes enumerated, it was nevertheless preferable to choose one which would not accentuate the unsatisfactory features (to a certain extent unavoidable) of the scale drawing, and, particularly, one which did not compress the polar region too greatly. The choice was: equidistant representation of the circles of declination, which are to be taken up to about minus 70 degrees; the north pole in the centre as in the fresco; the hour-circles from 40 minutes to 40 minutes in Right Ascension, radiating in straight lines; laterally, corresponding to the 'obliquity' of the ecliptic, the pole of the ecliptic, and, through this, the curves for the circles of ecliptic longitude. The result is reproduced in the drawing (Fig. 354).

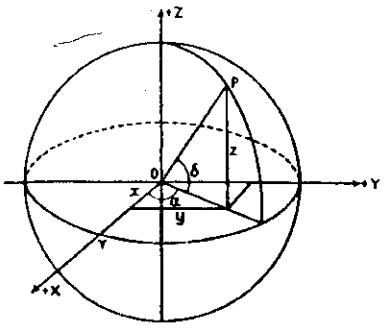

Fig. 351.

The theoretical basis is as follows:

Let P be a point of the celestial sphere (Fig. 351). A rectangular system of co-ordinates is so placed that the XY-plane coincides with the plane of the Equator, the Z-axis pointing towards the celestial north pole. Further, let the $+X$-axis lie in the direction of the point ♈, i.e. the vernal equinox. Then, the angle δ expresses the declination and α the right ascension of the star P, and therefore the rectangular coordinates of P will be: (1) $x = \cos\delta \cdot \cos\alpha$; $y = \cos\delta \cdot \sin\alpha$; $z = \sin\delta$.

All points whose co-ordinates satisfy this equation (1) and for which δ and α include all values between $-90° \leq \delta \leq +90°$ or $0° \leq \alpha \leq 360°$ fill the surface of the whole sphere, which is therefore represented by the equations of (1).

We are concerned with the horizon of Qusayr 'Amra, where the geographical latitude ϕ is 31°50': the plane E of this horizon (Fig. 352) is perpendicular to the direction of the Zenith S of Qusayr 'Amra and passes through our point of observation O in the centre of the sphere (in Fig. 352, therefore, it passes perpendicularly on the plane of the paper through E). The line which it traces on the sphere, i.e. the line of the horizon, is to be found:

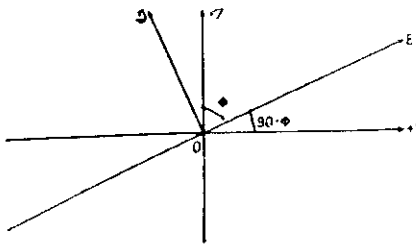

Fig. 352.

Since the plane passes through the X-axis, the equation of E will be free from X and is:

(2) $\ldots z = y \cdot \tan(90 - \phi)$.

Therefore the line of the horizon must satisfy the equations (1) and (2). If the second and third equations of (1) are unified with (2) we have:

(3) $\sin\alpha = \tan\delta \cdot \tan\phi$

as equation of the line of the horizon. How does this affect our projection? In Fig. 353 it may be seen that: The polar angle ψ is equal to the right ascension α and the radius vector r is equal to the complementary angle of the declination δ, that is:

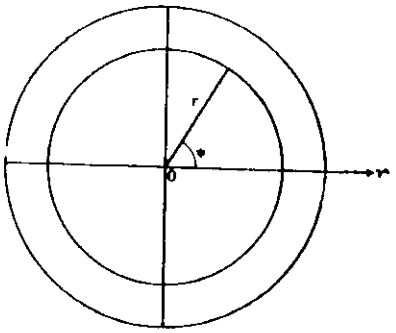

Fig. 353.

(4) $r = 90° - \delta$; $\psi = \alpha$.

Whereby: $0° \leq \psi \leq 360°$ and $0° \leq r \leq 180°$ (for the north pole we have $\delta = +90°$, therefore $r = 0°$; for the equator $\delta = 0°$, therefore $r = 90°$; for the south pole $\delta = -90°$, therefore $r = 180°$). Therefore, if (3) is transformed through unification with (4), there results the desired projection of the horizon:

(5) $\tan r = \tan\phi / \sin\psi$.

Now the drawing was reckoned by points, proceeding from 10 to 10 degrees. Since the geographical latitude of Qusayr 'Amra is 31·8°, $\tan\phi = 0{\cdot}620$. The r-values correspond to one another in the single quadrants, symmetrically or supplementarily.

By means of the same equation (5) we also get immediately the line of the ecliptic on our chart. For this results from just such a cut on the sphere by a plane, except that this plane is inclined not to $(90° - \phi)$ but to the 'obliquity of the ecliptic' ϵ to the XY-plane, i.e. the equator. Thus, in equation (5) it is only necessary to replace ϕ by $(90° - \epsilon)$, whereby there results:

(6) $\ldots \tan r = \cot\epsilon / \sin\psi$.

In the year A.D. 700 we have $\epsilon = 23°\,36{\cdot}6'$, therefore $\cot\epsilon = 2{\cdot}288$.

The curves of the ecliptical longitude from 30 to 30 degrees can be found analogously, by the cut of a complex of planes with the sphere, whereby the single planes are determined first by the pole of the ecliptic ($\alpha = 270°$, $\delta = 66{\cdot}5°$) and, each in turn, by a straight line going from the centre of the sphere to a point of the ecliptic, the angular distance of which, counted from the ♈-line of nodes, is $30n$ degrees, where $n = 1, 2, \ldots 12$. The orientation of the horizon of Qusayr 'Amra chosen on the chart (Fig. 354) is made clear by the facts written on the outer edge: That part of the heavens which lies within the horizon-oval was to be seen in Qusayr 'Amra at the date of the winter solstice, at midnight on December 21, A.D. 700—the ecliptic is then exactly between its two nodes above the horizon, the ♈-point is just disappearing in the West, the ♎-point just appearing in the East. The same image of the heavens was visible on September 23 at noon, on March 21 at 6 o'clock in the evening, and on June 21 at 6 o'clock in the morning.

It was now necessary to place the stars in this basic network. In order to get as close a connexion as possible between the figures of Qusayr 'Amra and their models, all stars visible above the horizon of Qusayr 'Amra in A.D. 700, for which ephemerides were available,[1] were used. On the whole, 291 exact positions could be thus reckoned. But these proved in many cases insufficient, so that 119 further positions were included, by means of alignments between the neighbouring stars (these latter positions are marked in Fig. 354 and Fig. 356 by the signs ϕ and δ). Finally about 400 stellar positions were so obtained. All stars of the third magnitude or brighter ($\geq 3{\cdot}0$ m.) are included, and in about 100 cases those of lesser magnitude.

(الملحق) المعادلات الرياضية المستخرجة بواسطة المثلثات الكروية والتي بواسطتها تمكن العالم الفلكي (آرثر بير) من رسم مساقط الكواكب المرسومة في قبة قصير عمره، وقد فضلنا ابقاءها باللغة الانكليزية لتعذر وجود رموز مطبعية مماثلة لما هو موجود في الاشكال الهندسية والمعادلات.

فبواسطة هذه المعادلات تمكن من تثبيت دائرة مسار الشمس وخط الاعتدال ، كما عيّن خط الطول والميل والمطلع المستقيم لقبة السماء ، ثم قام برسم خط الأفق ونهايته العظمى ودوّن اسماء الكواكب وجعل لكل كوكب رمزا متعارفا عليه عند الفلكيين (صورة رقم ١٤) .

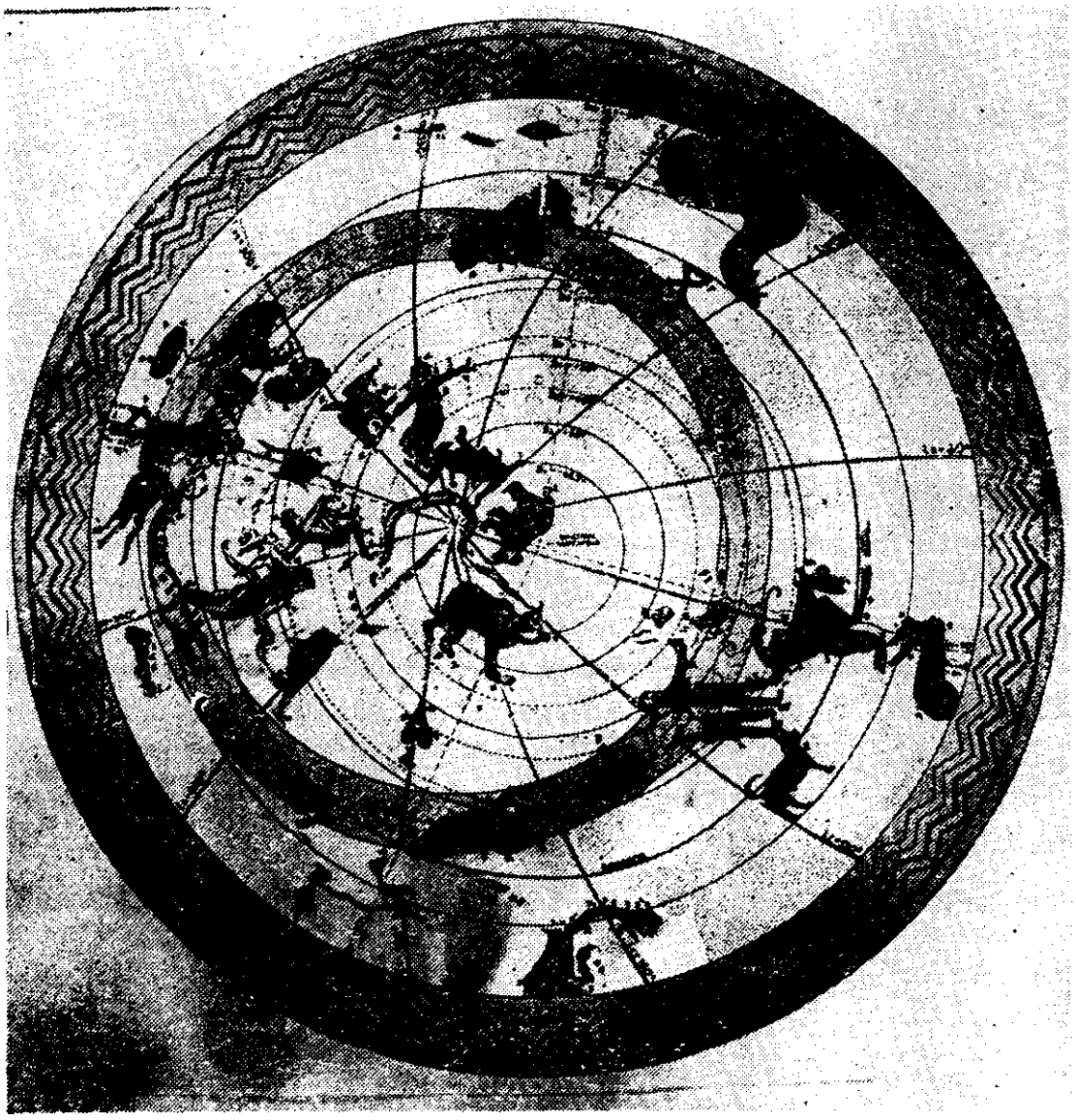

(صورة رقم ١٤)

اعادة رسم قبة السماء في قصير عمره من قبل العالم الفلكي (آرثر بير)

وقد وجد (آرثر بير) ان من الواحد والسبعين كوكباً من كواكب قبة السماء التي يفترض وجودها في قبة قصير عمره لم يسلم من التلف منها سوى ٣٧ كوكباًوهي غير كاملة وبعضها مشوّه، وليس بالامكان الحصول على صورة لقبة السماء معاصرة لزمن قصير عمره للاستفادة منها في معرفة شكل الكواكب الناقصة والتي ندوّن اسماءها ادناه :

ANTILIA	مفرغة الهواء
CAELUM	قلم النحّات ــ آلة النقّاش
CAMELOPARDALIS	الزرافة
CANES VENA-TICI	كلاب الصيد ــ السلوقيان
COLUMBA	الحمامـــــة
CRUX	نعيم ــ الصليب الجنوبي ــ عرش قيصر
DORADO	ابو سيف
FORNAX	الكورالكيمياوي ــ الفرن الكيمياوي
GRUS	الكـركـي
HOROLOGIUM	الساعة
PHOEINX	العنقاء ــ السمندل
SCULPTOR	آلة النقّاش ــ معمل النحّات
SCUTUM	(سكوتم)
TELESCOPIUM	الراقب الفلكي ــ المنظار
TRIANGULUM	المثلث
VULPECULA	الثعلب والوزة

اما الكواكب الاحدى عشر الأخرى التي طمست معالمها بسبب سقوط أجزاء من بناء قبة قصير عمره فهي الآتية اسماؤها :

ARIES	الحمل ــ الكبش
CEPHEUS	الملتهب

CANIS MAJOR	الكلب الكبير – كلب الجبّار
CORONA BOREALIS	نير قطعة الفرس – قطعة الفرس
EQUULEI	الميزان
LIBRA	السبع – الذنب – الفهد – البرذون
PEGASSUS	الفرس الاعظم – الفرس الثاني
PERSEUS	فرساوس – حامل رأس القوس
PISCIS AUSTRALIS	الحوت الجنوبي
SAGITTA	السهم – النصل

ان صورة قبة السماء (رقم ١٤) التي رسمها (آرثربير) تبين الاجزاء الباقية من صور الكواكب في قبة قصير عمره في الوقت الحاضر ، وقد حاول تكملة القسم الممحي منها ، اما الدوائر الموجودة في هذه الصورة فقد رسمها وفقاً لنتائج المعادلات الرياضية التي ألمعنا اليها . وان الفرق بين الصورة الشمسية والرسم الذي رسمه هذا العالم يمكن تضمينه في نقطتين : – الاولى في شكل الكواكب نفسها ، والثانية في المواقع النسبية للكواكب بعضها لبعض ، وان اكثر الفروق وضوحاً نجدها في الكواكب التالية : –

١– المرأة المسلسلة ANDROMEDA الجسم مبروم الى عكس الجهة التي ينظر فيها ، وتبادل بين اليمين واليسار ،

٢– برج الدلو – الساقي AQUARIUS الجسم منتصب بدلا من ان يكون مائلا بالنسبة لحزام دائرة البروج .

٣– العقاب – النسر الطائر AQUILA لم يرسم الجناح الثاني للصورة .

٤– السفينة ARGO حجم السفينة ولا سيما شراعها صغير جداً .

٥– ذو الأعنة – ذو العنان AURIGA علامات النجمين (٨) و (٩) متبادلتان .

٦– الصدر – ذات الكرسي CASSIOPEIAE في وضع جلوس على العرش وشكله يجعله أقرب لشكل الملتهب CEPHEUS

٧ ــ قنطورس ــ الظلمان CENTAURUS انتفاخ في ظهر المعطف .
٨ ــ السرطان CANCER تبادل بين الطرفين الأيمن والأيسر .
٩ ــ الاكليل الجنوبي CORONA AUSTRALIS التاج ظاهر من الجانب بينما يجب ان يكون في الأعلى .
١٠ــ الغراب ــ الخباء CORVUS تبادل في الوضع بين اليمين واليسار .
١١ــ الجوزاء ــ التوأمان ــ التيماء GEMINI تبادل في وضع القدمين اليمنى واليسرى .
١٢ــ هرقل ــ الجاثي HERCULES تبادل في الوضع بين اليمين واليسار .
١٣ــ الشجاع (الثعبان) HYDRA الرأس مائل نحو الجنوب بينما يجب ان يكون فوق دائرة البروج .
١٤ــ الحواء OPHIUCHUS تبدل في وضع الجسم وتبادل بين الأرجل .
١٥ــ الجبّار ــ الجوزاء ORION خطأ في الرسم واختلاف في موضع الأرجل.
١٦ــ الحية ــ الحوية SERPENS تعادل في الرسم .
١٧ــ الدب الأكبر SAGITTARIUS الذنب دائر نحو الأسفل بدلا من ان يكون ممتداً بصورة أفقية ، والكف الخلفية قصيرة .
١٨ــ الدب الصغير URSA MINIOR تبادل بين اليمين واليسار والوضع مبروم .

هذا وهناك اختلافات أخرى حاول العالم الفلكي (آرثر بير) اظهارها في دائرة البروج ، فكان حصيلة عمله الصورة (رقم ١٤) مع الاعتراف بأنه قد سمح لنفسه ببعض الحرية في تقريب شكل البروج الى صورها الحقيقية ، من ذلك إجراء تصحيح في صورة هرقل وتصحيح آخر في موقع الجدي وذلك بوضعه على خط الطول وغيرها من التصحيحات . كما قام بتصحيح نظام خط الاستواء EQUATORIAL SYSTEM حيث وجد دوائر الميل غير واضحة في قبة قصير عمره ، والمسافات بين الدوائر ليست منتظمة مما اضطره الى اعادة رسمها مجدداً مستعيناً بموقع الدوائر بالنسبة الى موقع النجوم المجاورة لها .

ويعزى اهم الاسباب التي دفعت الرسّام في قصير عمره الى تغيير مواقع بعض بروج الكواكب وجود نوافذ في القبة، فغيّر الرسّام مثلا موقع (الاغربة ــ الشعرى) ورسمها في الطرف البعيد من النافذة ، وهذا بالطبع أدى الى تغيير مواضع البروج الأخرى في هذه المنطقة .

وينهي آرثربير دراسته بالقول بانه من المتعذر معرفة السنة التي تمّ فيها رسم قبة السماء في قصير عمره بدلالة مواقع الكواكب المرسومة فيها ، ومع هذا فالموقع النسبي بين خط الاعتدال ودائرة البروج في هذا الرسم يمكنه من تعيين زمن تقريبي لهذا العمل وحصر ذلك بين السنوات ٧١٢ و ٧١٥م ، الا انه يفضل عدم الأخذ بهذا التقدير ويرجح اتخاذ السنة٧١١م التي عينها علماء التاريخ أساساً لزمن بناء قصير عمزه ، اي في زمن خلافة الوليد الأول كما بينا ذلك سابقاً .

وقبل ان ننهي هذا المقال لا بد من التنويه هنا بفضل العرب على علم النجوم منذ أقدم الازمنة . فمن المعروف ان الكلدانيين هم أول من وضع أسس علم النجوم ورفعوا قواعده ، وقد ساعدهم على ذلك صفاء سمائهم واستواء آفاقهم ، فتطلعوا الى قبة السماء الصافية وبهرهم نظام ما فيها من نجوم وكواكب ، فاهتم كهّانهم في رصد تلك الكواكب وثبّتوا اماكنها ورسموا لها البروج وعيّنوا منازل الشمس والقمر ، وحسبوا الخسوف والكسوف .

وعندما هاجر جماعة منهم الى جزيرة العرب بعد ان دالت دولتهم واستولى الفرس على بلادهم نشروا علم النجوم في الجزيرة ، وصار يطلق عليهم الصابئة الحرانيين (ادستا) ، واصبحت لهم منزلة مثل منزلة اليهود والنصارى .

عرف العرب عدداً كبيراً من النجوم الثوابت وعينوا مواقعها ، وجعلوا لها اسماء تعرف بها ، منها : بنات نعش الكبرى والصغرى ، والظباء ، والربع ، والرابض ، والعوائذ ، والذئبان ، والنثرة ، والفرغ ، والقدر ، والراعي ، وكلب الراعي ، والاغنام والرامح ، والسماك الاعزل ، وعصا الضياع ، واولاد الضياع ، والسماك الرامح ، وحارس السماء ، والاظفار ، والفوارس ، والكف المخضب ، والخباء ، والعيّوق ، والعنّاز والجديان وغيرها(١) .

---

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامي – جرجي زيدان – ج٣ ص ١٢/٣ .

وقد بالغ ابن قتيبة في براعة العرب في علم النجوم فقال في كتابه (تفضيل العرب على العجم) ان العرب أعلم الأمم بالكواكب ومطالعها ومساقطها ، ولا غرابة في اتقانهم معرفة النجوم ومواقعها اذا علمنا انها كانت دليلهم في حلّهم وترحالهم ، وكان عندهم لمطلع كل كوكب او منزل وصف يدل على تأثيره في الطقس وعلى حياتهم واعمالهم .

وقد اقتبس اليونان مبادئ علم النجوم عمن سبقهم من أمم التمدن القديم مثل البابليين والفنيقيين والمصريين ، فتوسعوا فيه وعنى فلاسفتهم عناية كبرى في النجوم ويكاد لا يخلو فيلسوف من النظر في النجوم واحكامها ، وقد بلغ هذا العلم قمة مجده في مدرسة الاسكندرية على يد البطالسة .

وعندما اتسع سلطان المسلمين ، وأخذوا في أسباب الحضارة بالحظ الوافر وتفننوا بالصنائع والعلوم ، وتشوفوا الى الاطلاع على علوم الأقدمين وفلسفتهم نجد ان اول من اشتغل في نقل العلوم الى العربية في العهد الاموي هو (خالد بن يزيد ابن معاوية) المتوفى سنة ٨٥ هـ ، وكان طامعاً في الخلافة بعد وفاة أخيه معاوية الثاني ، فغلبه على ذلك مروان بن الحكم ، فلما يئس من الخلافة ، وهو ذو مطامع وذكاء ، انصرف الى اكتساب العلى بالعلم ، فتعلم صناعة الكيمياء ، وأنفق الأموال في طلب علم النجوم واستحضار آلاته ، وربما تُرجم له شيء منه لم يصلنا خبره ، على ان بعض الذين اطلعوا على مكتبة القاهرة في اواسط القرن الرابع للهجرة شاهدوا فيها كرة من نحاس من عمل بطليموس وعليها مكتوب (حملت هذه الكرة من الامير خالد بن يزيد بن معاوية) . فلا يستبعد بعد هذا ان يكون رسم قبة السماء في قصير عمره من تصميم ورسم رسّام عربي كلف بهذه المهمة .

اننا حين ندرس قبة السماء في قصير عمره لا نقصد الاستفادة منها في دراسة الكواكب وخطوط الميل وغير ذلك في الوقت الحاضر بل لنزداد مباهاة بأعمال أجدادنا العظام ونزداد ايماناً بقابليات أمتنا الكامنة فنندفع للقيام بخدمات تشبه خدماتهم في شتى فروع العلم والمعرفة . لقد سار علماء العرب في مقدمة العالم قروناً عديدة ، وان خدماتهم يجب ان تولّد في نفوسنا طموحاً لاحراز مكانة عالية مثل المكانة التي كان أحرزها هؤلاء في العصور التي عاشوا وعملوا فيها .

شريف يوسف